الترادف و القرءان

مقدمة بين يدي الكتاب.

لعل القارئ يتصور بأن الترادف موضوع تناوله الكثيرون قديما وحديثا، لكن ما يميز الدراسة الماثلة أنها تعنى بالترادف في القرءان فقط، وهي ليست دراسة موسوعية لكل ما ورد من صنوف التشابه بالقرءان لكنها دراسة دلالية، تؤكد مفهوم احتياجنا لتفسير عصري كل عشرة أو خمسة عشر عاما على الأكثر ليستخدم فيها الباحث بكتاب الله المفهوم العصري والعلمي والدلالات اللغوية السائدة في عصره، وهي دراسة تطبيقية نعرج بدلالاتها على بعض ما جاء بالتفاسير القديمة لنبين عوار خلودها في ثقافات المسلمين، ولا نعنى بذلك التشهير بجهد الأقدمين بل وضع حجر الأساس وتهيئة المناخ لبذل الجهد لتطوير النظر بكتاب الله وتفسيره كل فترة، فضلا عن دعوتنا لكل أهل الإسلام أن يتدبروه ليل نهار.

لذلك فإن دراستنا وإن كانت تطبيقية لكنها لن تترصد كل عوار التفاسير القديمة بل ستدلل فقط على عوار تقديسها وخلودها كمراجع ثابتة لعلم التفسير، فهي بذلك ليست دراسة أكاديمية صماء لكنها دراسة

تنزل إلى أرض الواقع العلمي والعملي والثقافي للمسلمين لتخرج بنتائج محددة نحو عدم تقديس جهد السلف في تفسيرهم للقرءان.

وإبان رحلتي مع الترادف درست كتابا اسمه [الفروق ومنع الترادف] للحكيم الترمذي المتوفي بالقرن الثالث الهجري، ووقفت على اهتمام أساتذة اللغة والأزهر به، لكن لأسفي فنحن دوما نرنوا للقديم والقدماء، فلم أقف على ترادف بالكتاب إلا في نذر أقل من القليل، وكل الكتاب عبارة عن فروق دلالية عن معاني أفعال، بل لقد صرف المؤلف جهده في أمور لا ترادف فيها البتة، لكنه الولع بالقديم الذي جعل منا متأخرين ونُحب التّأخر، بل وتجد المتخصصين وهم يَتَرَصّدون بالنقد ومعاول الهدم كل جديد، ومن عجيب الأمر أن المؤلف لم يضع لفظة (ترادف) باسم كتابه، لأن مسمى الكتاب الأصلي هو (مشتبه الأفعال وبيان فروقها)، لكن المُحْدَثين هم الذين ألصقوا عليه اسم الترادف زورا وبهتانا ليكون حجّة لهم إبان رحلة مسخ الترادف بالقرءان الذي انتشر كالنار في الهشيم.

والترادف المعني به في الدراسة الماثلة هو اختلاف الألفاظ، واتفاق المعاني، فهناك صنفا آخر وهو اتفاق اللفظ واختلاف المعنى، وهذا له ضابط للوقوف على حقيقته وهو الوقوف على السياق السابق واللاحق لتعيين المعنى المراد، وذلك مثل كلمة (يسير)، فقد تكون بمعنى قليل، أو بسيط، أو يمشي، أو سهل، لكن يتوقف المعنى المراد على

السياق الذي قبل الكلمة وبعدها للتعرف على المعنى المراد، وسوف أمسّه مسّا خفيفا بهذا الكتاب لأتعرض فيه لأشهر مسألة وهي تحقيق لمعرفة النبي صلى الله عليه وسلم بالقراءة والكتابة، وليس ذلك الجهل المزعوم.

وإننا لنسمع من الذين توقفوا عند أعتاب الفقه القديم بأن هناك ترادفا بالقرءان، يعنون بذلك الصنف الأول (اختلاف الألفاظ، واتفاق المعاني)، فتراهم والقدماء وقد ساووا بين الساعة والقيامة فظنوهما لفظين لمعنى واحد، وبين النّظر والرؤية والبصر فظنوا لهم مدلولا واحدا، ولا يوجد عندهم فرق في المعنى بين تعبير (إن شاء الله) و (بإذن الله)، والحياء هو الخجل في منطقهم، والذنب كالمعصية كالسيئة، وهم جميعا في منطقهم كالخطيئة سواء بسواء، وغير ذلك كثير، وبذلك جرى تفسير الأقدمين للقرءان، بينما تجد حقيقة البيان القرءاني وهو لا يكتفي بانتقاء الألفاظ وتخيُّرِها، بل يشرع في ذلك صراحة ووضوح يفهمها أولوا الألباب، وينبني ليها مراد الشارع وحقيقة التشريع.

وقد كان لفقدان تلك الفروق عن دلالات المعاني والتفرقة بين الكلمات أبلغ الأثر السيئ في منظومة تدبر كتاب الله وتفسير المفسرين القدامى له، ومع تعظيمنا للقدماء وتقليدنا لهم بلا ضابط من عقل قويم، ترى أصحاب الاغتراف من التراث بلا ضابط وهم لم يُفَرِّقوا بين تعبير الميْت والميّت، فالأولى بسكن حرف الياء، والثانية بتشديد حرف الياء،

فظنوهما يعبران عن مفهوم واحد، وبهذا جرت تفسيراتهم والأقدمين للكتاب والسُنَّة النبوية، وتصوروا الوفاة والموت والقتل شيئ واحد، وصار العدل هو القسط في مفهومهم، وأصبح مفهومهم عن القلب أنه الفؤاد، وكلمة الأب تعني عندهم الوالد، وكلمة بعل تعني عندهم الزوج تماما بتمام، وما هما كذلك، وغير ذلك كثير مما أثّر على فهم الأجيال للقرءان والسُنَّة، فتضاربت واختلت المفاهيم عن حقيقة الهدف القرءاني وقول الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم.

ولم يكتف أهل النقل من دعاة اليوم ولا فقهاء الزمن القديم من أهل السلف بهذا، لكنهم حددوا مسار بعض الألفاظ القرءانية وضبطوها على ما تصوروا أنه الحق، بل وحملوا الناس على مفاهيمهم، فأوقفوا فهمها لمرادهم، فصارت الأمية عندهم محصورة في عدم الإلمام بالقراءة والكتابة، وبذلك صار النبي لا يعرف القراءة والكتابة، وصارت قريش كلها لا تعرفهما، لأن الله تعالى قال: [هو الذي أرسل في الأميين رسولا منهم...]، ولأن الأقدمين قالوا بذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إن الوقوف على المعاني الحقيقية للألفاظ من الأهمية بمكان للوقوف على الموضوعية الفكرية لأية آية، وإن القول بالترادف ما هو إلا عجز أو جهل أصاب أحدهم أو بعضهم فتعللوا بالترادف، أو تعللوا بالنسخ بالقرءان، حتى يخرجون من ورطتهم في عدم فهم المراد

القرءاني، أو لعلهم من أهل النقل والاغتراف من القديم بلا ضابط إلا تقديس مراجع الأقدمين وعدم المساس بفاعليتها مهما كان عوارها.

وقد ألف الأستاذ الدكتور/ محمد داوود كتابا أسماه الفروق الدلالية لألفاظ القرءان ودلل على أهمية موضوع الكتاب حين ذكر:[ما من شك في أن تحديد الفروق الدلالية بين الكلمات متقاربة المعنى له فوائد أهمها الارتقاء بالقدرة اللغوية ودقة التعبير اللغوي وإحكامه عند الكُتَّاب والمتحدثين ومساعدة المتلقي على دقة الفهم وعدم الوقوع في متاهة الغموض، والوضوح وأمن اللبس].

ولا أنكر وجود ترادف باللغة العربية عموما نظرا لاختلاف اللهجات والثقافات، لكن لا يوجد ترادف بالقرءان أبدا، وإن القول بالترادف بالقرءان مع التقيد بفكر السلف ومراجعهم أصاب الحركة الفكرية الفقهية إصابات بالغة السوء، بل أزاد الطين وحلا قولهم بتوقف الاجتهاد، باعتبار أن الأوائل قد جهدوا واجتهدوا بما فيه الكفاية، وأظن الجمود الفكري وتوقف أو مقاومة الحركة الإبداعية من أهم عناصر الهبوط في الأداء الدعوي، وسبب من أسباب انصراف الشباب عن الدعاة، فهم يخاطبون رجال الغد بفكر وعقول الأمس مما يسبب فتور مشاعر الحماس عن القناعة بما يقوله هؤلاء الدعاة.

ولقد رأيت أهمية هذه الدراسة لما تحمله من تطور في مفهوم معنى الكلمة، ليس في سياقها فحسب، لكن أيضا في عدم تشابهها مع كلمة أخرى، بل قد تكون الكلمة واحدة لكن يختلف معناها باختلاف شكل كتابتها في القرءان، فكلمة كتاب تواجدت بسورة الكهف على شكلين في الكتابة وكل منهما له معناه، فأورد تعالى بالآية رقم (١) من السورة كلمة (الكتب) على إنها كلمة (كتاب) ولم يضع حرف المد بين حرفي التاء والباء، بينما بالآية رقم ٢٧ من ذات السورة وردت الكلمة وبها ألف المد بين حرفي التاء والباء، ولكل مدلولها ومعناها الخاص وهو ما سبق وأوردته بكتابي [كنوز ورحمات من القرءان]، بل وذكرت مئات الفروق ولكل منها دلالته الخاصة، لذلك أرى أن تقليد الأقدمين والتقيد بكل ما ورد عنهم ما هو إلا ظلم للكتاب وللمسلمين وللإسلام.

فالقول بالترادف أصاب بعض أنوار تراثنا، لذا وجب علينا التصدي بأدوات العصر وإدراك أجيالنا، لنعيد كتابة تفسير عصري للقرءان توضع له الضوابط الحديثة حتى يخرج مناسبا لفكر أهل العصر ويأخذ بيد الأمة، ولقد رأى كثير من العلماء بعدم وجود ترادف بالقرءان، لكن لم يكتب لصوتهم نفاذا عبر قنوات الزخم القديم بل هناك بحوث عديدة تبرهن على أن الإعجاز اللغوي في القرءان يتجلى في انفراد كل لفظ بمعنى مستقل لا يشاركه فيه غيره، فالفصاحة والمشترك البياني لا يلتقيان في نص واحد.

فما أحوجنا كأمة عظيمة لها تراث لا يستهان به، أن نضع للعلم قواعد جديدة من خلال مستوى الإدراك الذي نعايشه ويتناسب مع عقول اليوم، لكنه بات فريسة للإسرائيليات تارة، ولجهد المقل من العلماء منذ نحو ألف سنة أو أقل قليلا.

وسيراعى بهذه الدراسة أن تكون تطبيقية قدر الإمكان حتى يقف القارئ على حجم الضرر الذي أصاب الأمة في حاضرها نتيجة التقيد بفكر الأقدمين وعدم تطويره وفقا لتطور الإدراك في عصرنا، بل وفي كل حقبة زمنية مضت، لذلك وجدت من الواجب إصدار هذه الدراسة لمساعدة أهل الدعوة في تطوير الأداء الدعوي، ويبقى دور الإعلام بأنواعه لنشر الدراسة ورفع الوعي الثقافي والفقهي للأمة من خلال الرسالة السامية للإعلام.

أولا:. الساعة والقيامة.

بات من الملح أن نتوقف قليلا عن ممارسة التقليد الأعمى والعمل بدين ذمَّهُ الله وهو دين الآبائية الذي تجمدت على أعتابه حركة تدبر كتاب الله، ولنتخذ المثل بالقيامة والساعة ولنعلم بأن لكل منها خصائص تؤكدها آيات كتاب الله، لكني سألخص الأمر قدر الإمكان، وسأعتمد في تلخيصي على علم المسلم المستمد من قراءته لكتاب الله عن الساعة والقيامة، والفرق بينهما أوجزه فيما يلي:.

١. فالساعة هي آخر أيام الدنيا، أو هي آخر حقبة زمنية من حقب الدنيا، بينما يوم القيامة هو بالآخرة خارج زمن الحياة التي نعرفها.

٢. والساعة تقوم على أحياء فتُميتهم، وحينها يُدفن الناس تحت ثرى الأرض، بينما تقوم القيامة على أموات فتحييهم، وتتشقق الأرض عن أجسادهم فيخرجون منها وينبتون كما ينبت البقل، {يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ } ق٤٤؛ فهو يوم يقوم الناس لرب العالمين.

٣. والساعة تأتي بغتة، {... لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً .. } الأعراف١٨٧؛ وهي تقوم على أحياء لذلك فهم يُبغتون ويذهلون: {يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ } الحج٢؛ بينما لا تبغت القيامة أحد لأنها تقوم على أموات.

٤. والساعة لها علامات صغرى وهي أشراطها، ثم تقوم أحداثها بالفناء للمنظومة الكونية وما عليها من خلائق متبقية، بينما القيامة تقوم ولا أشراط لها، لأنها تكون على أموات، فلا فائدة من علامات تحدث على الأرض أو في السماء بينما الناس أموات.

٥. والساعة قد تكون خاصة أي ساعة موتك أنت، وقد تكون عامة لتدمير وموت كل الخلائق على الأرض وتدمير السماء، أما القيامة فهي عامة فقط.

٦ـ وقيام الساعة يعني زوال الدنيا وفناءها، لكن يوم القيامة يوم بناء وتشييد لصروح الآخرة.

٧ــ والســاعة تقــوم علــى أرضــنا هــذه وعلــى تلــك الســماء التــي نراهــا الآن، بينمــا لــن يكــون يــوم القيامــة علــى أرضــنا هــذه، فتلــك الأرض ســتزول عنــد قيــام الســاعة، ويبــدلها الله والســماوات لأجـل القيامــة، لـذلك يقـول تعــالى: {يَـوْمَ تُبَـدَّلُ الأَرْضُ غَيْـرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ } إبراهيم٤٨.

٨ـ ومن أحداث الساعة أن تتزلزل الأرض وتخرج براكين من جوفها وتُنسف الجبال وستختبئ فلول البشرية التي ما زالت على قيد الحياة يتساءلون من الذعر عما أصاب الأرض والمنظومة الكونية ويصطرخون من العذاب والاختناقات، ثم تزول الأرض وما عليها، وستكشط السماء وتفتح لتصير أبوابا، ...ثم ...وثم. أما القيامة فهو يوم سكون ولا تكاد تسمع فيه أحد يتكلم إلا همسا، أو تخافتا، أو من يأذن له الرحمن بالكلام.

٩ـ والساعة ـ لكونها مخصصة للانهدام والدمار والفناء ـ وهي بقسميها العام والخاص لها علاماتها المميزة، فمن علامات الساعة الخاصة المشيب برأسك وكثرة الأمراض والضعف وغيره، بينما من علامات الساعة العامة بعثة سيدنا رسول الله وانشقاق القمر وخروج الدابة التي تُكلم الناس وخروج يأجوج ومأجوج وغير ذلك. أما القيامة فلا علامات لها لأنها تكون على أموات.

١٠. والساعة العامة أو الخاصة لها آلامها على أغلب الخلائق لخروج النفس من الجسد، (أعاذنا الله من آلامها)، بينما القيامة إعادة وتزويج للأنفس مع الأجساد بلا آلام.

١١. وعند قيام الساعة يكون الإنسان بذات جسده وإمكاناته، بينما بالقيامة يرتفع مستوى الجسد، فيرى الملائكة والجن وغير ذلك من الخصائص التي منها كلام الأيدي والأرجل والجلود.

١٢. ويمكن حين قيام الساعة أن ينفع معها إيمان وتوبة، وذلك حين الأشراط الصغرى فقط (مثل بعثة سيدنا محمد وموت من حولك من الناس وكثرة الحروب والفتن، وظهور الشيب برأسك الذي يعني دنو ساعتك أنت الشخصية لتموت)، لكن حين قيامها الفعلي بأشراطها الكبرى (مثل خروج الدابة ويأجوج ومأجوج...الخ) لا ينفع معها إيمان ولا توبة، بينما القيامة لا ينفع فيها أي عمل أو توبة لأنها يوم للحساب فقط.

١٣. قيام الساعة يستغرق أياما وسنين، وذلك سواء أكانت الساعة الخاصة أو العامة، لكن القيامة كلها يوم واحد، فليست القيامة إلا يوما واحدا سرمدي.

١٤ـ وبالساعة يكون هناك شروق وغروب للشمس قبل أن تنكدر وتنطفئ، لكن الأرض تشرق بنور ربها يوم القيامة.

ويوم القيامة إنما هو يوم استقرار على أرض جديدة ليس فيه ذعر من جنس ذعر الدنيا، ويستمد قوة كيانه من رؤية الناس للملائكة، ووقوع الحساب فيه، ودخول الجنة والنار وما قبل ذلك من أحداث.

لذلك أرى أن تتم دراسة كل ما ورد بكتاب الله عن الساعة وعن يوم القيامة تفصيلا حتى يقف القارئ بتدبر واع لكتاب الله عن أحداث كل منهما، ويمكن الاطلاع على كتابي في هذا الشأن، ولابد أن يعلم المسلم مراد الله عن الساعة والقيامة ويفرق بينهما وبين تعبير (اليوم الآخر).

بين الساعة والقيامة واليوم الآخر:

أما الفرق بين يوم القيامة والساعة من جهة واليوم الآخر من جهة أخرى، فاليوم الآخر هو الذي يضم الساعة ويوم القيامة فيما يخص الإيمان بهما، فيكون يوم موتك هو اليوم الآخر لحياتك، ويكون يوم القيامة هو اليوم الآخر الذي لا يوم بعده، لأنه يوم سرمدي أبدي لا غروب فيه، لذلك فقد قرن الله كلمة اليوم الآخر بالإيمان، كما قرن الإيمان به سبحانه وتعالى مصحوبا بالإيمان باليوم الآخر، ولم يقرن الإيمان به مصحوبا بالإيمان بالساعة وحدها ولا بالقيامة وحدها، انما اختص ذكر الساعة والقيامة على سرد أحداث كل منهما، أو التذكير

والتهديد بهما، وهو ما يدل من وجه آخر عدم وجود زمن بين ساعتك الخاصة (يوم موتك) أو انتهاء الساعة العامة، وبين القيامة، لأن الأمر له حسابات ونظم أخرى غير التي اعتدنا عليها، لذلك كان تعبير اليوم الآخر.

ومبحثنا الماثل يخص الأحداث، وعلى ذلك نخلص إلى أن ذكر الساعة أو يوم القيامة بالقرءان إنما يعني الأحداث التي تتم بكل منهما، فالساعة هي آخر أحداث الدنيا، والقيامة هي أحداث الآخرة، أما تعبير اليوم الآخر فيعني الإيمان بهما معا كأحد عناصر الإيمان، وبأن تلك الحياة ستنتهي إلى حياة الجزاء الأبدي فذلك هو الإيمان باليوم الآخر الذي يضمهما، ولا يوجد من يؤمن بأحدهما ولا يؤمن بالآخر، لذلك فإن تعبير اليوم الآخر هو الذي ضمهما معا ليكوِّن حقيقة الإيمان بهما وليس الأحداث التي تتم بكل منهما، بما يعني الإيمان بزوال الدنيا وبوجود حياة أخرى خالدة، وتعبير اليوم الآخر يعني من وجه آخر ـ كما ذكرت ـ أن الآخرة لا أيام فيها فهي كلها سرمدية في يوم واحد وخلود أبدي، وأعلم بأن هذا المنطق في التفكير قد يصعب على الكثير تفهمه أو هضمه، لكن لابد أن نرتقي بإدراكنا ولا نستمر في سطحيات الفكر القديم ننقلها بلا إدراك.

وقد يرى البعض وهو يطالع كتاب الله وجود آيات تحمل صفة الساعة (أنها من الدنيا)، ثم يجد ذات الآية أو التي تليها تحمل صفة

القيامة، فيرتج عليه الأمر، لكن تيسيرا للأفهام أن تدرك الأمر... فإن كل ما جاء بالكلمات السابقة وبه شيء عن الساعة وكونها من الدنيا فهو من الساعة، أما ما يأتي بعدها فقد يكون منها وقد يكون من القيامة لذلك وجب التدقيق.

وحتى يتأكد القارئ من خلط أهل الزمن القديم بين الساعة والقيامة، وهو ما يؤكد حاجتنا أن نفكر بإدراكنا نحن وبأدوات عصرنا وننهض لتفسير القرءان بتلك الإمكانات المتاحة بدلا من شرنقة القديم، فتأمل ما جاء بتفسير بن كثير عن الآية الأولى بسورة الحج فيذكر بن كثير ما يلي بالنص والحرف: [{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢) } . يقول تعالى آمرا عباده بتقواه، ومخبرا لهم بما يستقبلون من أهوال يوم القيامة وزلازلها وأحوالها. وقد اختلف المفسرون في زلزلة الساعة: هل هي بعد قيام الناس من قبورهم يوم نشورهم إلى عَرَصَات القيامة؟ أو ذلك عبارة عن زلزلة الأرض قبل قيام الناس من أجداثهم؟ كما قال تعالى: { إِذَا زُلْزِلَتِ الأرْضُ زِلْزَالَهَا . وَأَخْرَجَتِ الأرْضُ أَثْقَالَهَا } [الزلزلة: ١ ، ٢] ، وقال تعالى: { وَحُمِلَتِ الأرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً * وَاحِدَةً فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ } [الحاقة: ١٤ ، ١٥] ، وقال تعالى: { إِذَا

رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا . وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا . فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا } [الواقعة: ٤ -٦].

فقال قائلون: هذه الزلزلة كائنة في آخر عمر الدنيا، وأول أحوال الساعة.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن بَشَّار، حدثنا يحيى، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عَلْقَمَة في قوله: { إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ } ، قال: قبل الساعة.

ورواه ابن أبي حاتم من حديث الثوري، عن منصور والأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، فذكره. قال: وروي عن الشعبي، وإبراهيم، وعُبَيْد بن عُمَيْر، نحو ذلك. انتهى الاقتباس من بن كثير.

فهل تأكد القارئ من الخلط الذي وقع فيه بن كثير حتى انه اعتمد قول من قال إن زلزلة الساعة شيء عظيم أنه أمر يحدث قبل الساعة، أي أن الزلزلة قبل الساعة وليست حدثا من أحداثها، بل وذكر بالسطر الثالث تعبير [أهوال يوم القيامة وزلازلها وأحوالها**] فخلط بين الزلزلة التي تكون من أمور الساعة بالحياة الدنيا، ويوم القيامة الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين، وهو خطأ جسيم لا نلوم عليه مجتهد كابن كثير لكن نلوم علماء أجيال بعده لم يروا في أنفسهم إلا التقليد للقديم والقدماء بل قالوا نقف عند حدود علم السلف فأضاعوا الأمة.**

الغرض من دراسة الفرق بينهما:

وفائدة دراسة الفرق بين اللفظين يعيد صياغة تفهمنا لمعاني ما ورد من آيات كتاب الله، وبالتالي تعديل كثير من أفكار السلف عما يدّعونه من بعض التفسيرات المخالفة لمرامي الآيات، كما أنه من واجب البيان أن نذكر بأن التسميات (ساعة . قيامة . يوم آخر) لا تعنينا قدر ما يعنينا وثوق المسلم ببديع البيان القرءاني وفهمه لآياته ودلالات الألفاظ به.

كما أن أمتنا وهي الأمة العربية منوط بها دعوة باقي الأمم لدين الإسلام، فلابد علينا من فهم الألفاظ حتى نقوم بأعباء الدعوة أو حتى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بناء على فهم قويم ولنعلم بأننا نخاطب أمم ذات عقول وثقافات أوسع من تلك العقول النقلية التي نترنح بها في الحياة، لذلك علينا الإلتزام بالدقة.

وحيث تأكد القارئ بأن هناك فرق بين الساعة والقيامة فإننا نكون بحاجة ملحة لإصدار تفسير آخر لا يكون للترادف فيه محل، وهو ما يجب على علمائنا القيام به.

ولقد تكررت كلمة الساعة بالقرءان ٣٩ مرة في خمس وثلاثين آية، وتكررت كلمة تقوم الساعة خمس مرات في خمس آيات، وتكررت كلمة ساعة غير معرفة بحروف التعريف (أل) ٨ مرات في ثمان آيات.

وتكـررت كلمــة القيامــة بــالقرءان ٧٠ مـرة فــي سـبعين آيــة، وذكـرت القيامــة والســاعة مجتمعتــين فــي ســورة واحــدة ١٣ مــرة فــي ثــلاث عشـرة سـورة. ولقـد ذكـرت كلمــة (واليـوم الآخـر) ٢٢ مـرة، فــي ٢٢ آيــة تــم إقرانـهـا كلهـا بالإيمـان بـالله، وذكـرت كلمــة (اليـوم الآخـر) بدون حرف الواو مرة واحدة.

وكما نعلم بأنـه لا ترادف [تشابه المعنى] فيما ورد بـالقرءان مـن كلمات، فلكل كلمة مدلولها الخاص بها لتُبَيِّن ما عناه الله بدقة متناهيـة، فحين يذكر الله كلمـة الساعة فلا تعنـي أبدا يوم القيامـة، ولا يعنـي لفظ يـوم القيامـة بأنـه الساعة، ودعكـم مـن فقـه الأمـس الـذي كـان لا يفـرق بينـهمـا. ومـن أراد المزيد فليطلـع علـى كتابنـا [السـاعة . القيامـة . هنـاك فرق].

ثانيا: الفرق بين قول [إن شاء الله ـ بإذن الله].

كلمة إنشاء الله يطلقها المرء حين يكون لـه سعي أو مسئولية فـي الأمـر، وآيـة ذلـك نستخلصـها مـن كتـاب الله فيمـا أورده عـن هـذا التعبير، فتجد أنـه ما ورد ذلك التعبير إلا وتجد للجنس البشري فيـه يد أو عمل أو مسئولية بينمـا تعبيـر (بـإذن الله) لـم يـرد إلا ليـدلل استحواذ الله على الأمر حتى وإن كان الفاعل بشرا أو المفعول بـه.

الفرق الثانـي هو أن للعبد مشيئة، ولله مشيئة، ولا تبدأ مشيئة الله إلا بعد مشيئة العبد، وفـي ذلـك يقـول تعـالى: {وَمَـا تَشَـاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَـاءَ اللَّـهُ إِنَّ اللَّـهَ كَـانَ عَلِيمـاً حَكِيمـاً } الإنسان٣٠؛ ولـيس كمـا يتصـور البـعض أن تسبق مشيئة الله مشيئة العبد، لأن العبـد المعتمـد علـى الله

تساعده مشيئة الله وتكلؤه، لكن في تعبير بإذن الله فإن إذن الله يسبق ويقهر إرادة العبد، وبغير إذن الله لن يتم أي أمر من الأمور المتعلقة بإذن الله، وسنبدأ في سياحة قرءانية لإثبات ذلك الأمر حيث يقول سبحانه وتعالى:.

١. {قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ البَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاء اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ} البقرة٧٠.

٢. {فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ } يوسف٩٩.

٣. {قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ صَابِراً وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْراً } الكهف٦٩.

٤. {قَالَ إِنِّي أُرِيدُ ......وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ } القصص٢٧.

٥ـ { ...... قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ } الصافات١٠٢.

٦ـ {.. لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ..}الفتح٢٧.

٧. {وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً{٢٣} إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً{٢٤} الكهف.

فهل لاحظ القارئ وجود دور الفرد في كلمة إن شاء الله بكل آية من الآيات السابقة؟؛ ستكون الإجابة بالإيجاب لأن الفرد هو الذي سيفعل، ويصبر، ويكون صالحا، ويدخل مصر، وهو الذي عزم على الهداية فهداه الله..

الفرق بين مشيئة التوبة ومشيئة الإرادة

حين يشاء العبد أن يتوب فلابد أن تسبق مشيئة العبد في التوبة مشيئة الله في القبول، لكن إذا أراد العبد شيئا آخر وعمد إلى فعله فإن عمله مُعلق بمشيئة الله إن شاء وفّقه وإن شاء لم يوفقه، لكنه في الحالين يكون منفذا لما أمر به الرحمن.

لكن الذين يتصورون قوله تعالى: {وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }التوبة١١٨؛ فيتخيلون بأن مشيئة الله في التوبة سبقت مشيئة الثلاثة الذين خُلِّفوا، فإن هذا تأويل خاطئ لأنهم تابوا أولا قبل أن يتقبل الله منهم توبتهم.

أما مشيئة الإرادة فموكولة إلى قوله تعالى: {يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ }آل عمران١٧١؛ قوله سبحانه: {وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}هود١١٥؛ وقوله جل

فـي عـلاه: {وَالَّـذِينَ يُمَسَّكُونَ بِالْكِتَـابِ وَأَقَـامُواْ الصَّـلاَةَ إِنَّـا لاَ نُضِـيعُ أَجْـرَ الْمُصْلِحِينَ }الأعراف١٧٠؛ فمنـهـاج الله دومـا ألا يضـيـع أجـر كـل مـن شـاء مشـيـئة خيـر وكـان مـن المـؤمنين أو المحسـنين أو المصـلحين، وتلـك مشيئته التي سبقت مشيئة أي عبد يشاء شيئا يريده، فـالله يوفقـه طالمـا كان من تلك الفئات التي ذكرتها، فتحرّى أن تكون منـهم.

أمـا قـول [بإذن الله] فإليك التالي من كتاب الله تعالـى:.

١. {قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَـهُ عَلَـى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّـهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْـهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ } البقرة٩٧ . فـهل كـان للنبـي دخـل فـي تنزيل الله للقرءان عليه من دون الناس؟.

٢. {.... وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّـهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَـهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَـلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا

شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ } البقرة١٠٢، فلو كانت للساحر إرادة مطلقة على الناس لاستطاع أن يضُر، ولشارك الله في ملكه، ولفسد عدل الله لتدخل السحرة بالأمر، لكن الله هو من يأمر فينفذ في هذا المرض أو السحر ويمنع عن ذاك وهكذا، وكل ذلك بعدله سبحانه.

٣. {.... قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ } البقرة٢٤٩، فالفئة القلية المؤمنة تغلب دوما أي قوة أخرى لأن الله كتب ذلك على نفسه فهو من قوانين الله في أرضه [ولينصرن الله من ينصره] ...[كتب الله لأغلبن أنا ورسلي].

٤. {فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ } البقرة٢٥١؛ فقد يكون الفعل لك، لكن النتيجة في الأمور التي جعل الله إذنه فيها هو الأمر الذي يجعل منك مجرد أداه لنفاذ قدر الله.

٥. {وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِئُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِـي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } آل عمران٤٩؛ فسيدنا موسى

لم ولن يحي الموتى أبدا، لكنه قدر الله فيه، ليكون إحياء الموتى وسيلة الله لهداية خلقه.

٦- {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ الله كِتَاباً مُّؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ } آل عمران١٤٥؛ الم يسأل أحد نفسه لماذا يكون الأجل مؤجلا ولا يكون محددا؟، إنه قانون الله الذي أذن بأن من يعتني بصحته ويأخذ بأسباب العلم فإن الله يسمح بأن يطيل عمره، وهذا سر زيادة متوسط الأعمار بعد المكتشفات الغذائية والطبية.

٧- {وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ } آل عمران١٦٦؛ لأن الإصابات بيد الله [وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى].

٨- {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً } النساء٦٤

.

٩- {الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ } الأنفال٦٦.

١٠. {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ } يونس١٠٠.

١١. {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ } الرعد٣٨ .

١٢. {قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَعلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } إبراهيم١١.

١٣. {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ } فاطر٣٢ .

١٤. {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاء أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ } غافر٧٨ .

١٥. {إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } المجادلة١٠ .

١٦. {مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ }٥الحشر .

١٧. مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ{ التغابن١١}.

فهل لاحظ القارئ انعدام وجود دور للفرد أو صوريته بشأن كل ما ورد، حيث يكون للفرد دور هامشي لكن النتيجة دوما بيد الله، مثل قوله تعالى: {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } الأنفال١٧؛ فيعني ذلك أن الإصابة بقدر الله، والقتل من الله، وعلى ذلك فالنصر والهزيمة يكونان بإذن الله، وما دور الفرد إلا دورا هامشيا.

واكتفي بهذا القدر لأبرهن به على ذلك التخريج، فإذا كنت ستقوم بشيء غدا بنفسك فتقول إنشاء الله، أما إن كان الأمر لا يد لك فيه، كأن تنتظر غائبا لا تعرف موعد حضوره فتقول يحضر اليوم بإذن الله....وهكذا.

ثالثا:. الفرق بين العدل والقسط.

أما كلمتي العدل والقسط فهما أيضا ليستا مترادفين لمعنى واحد وهو كما سيأتي بيانه:-

فالعدل هو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم، والعدل ما قام في النفوس أنه مستقيم، والعدل هو الحكم بالحق ولقد جاءت كلمة العدل في القرءان بمعان مختلفة:-

١. بمعنى الاستقامة لقوله:- { ..... وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً } النساء٥٨.

٢. بمعنى الفدية لقوله تعالى:- {وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ } البقرة١٢٣؛

وقولـه تعـالى:- { .... وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَا أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ } الأنعام٧٠.

٣. بمعنى الإشراك بالله لقوله تعالى:- {الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ } الأنعام١.

٤. بمعنى المساوي أو المثلية لقوله تعالى:- { .... أَو عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللّهُ عَمَّا سَلَف وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللّهُ مِنْهُ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ } المائدة٩٥.

أمـا القسـطاس فهـو أعـدل المـوازين وأقومهـا، والقسـط هـو الحِصَّـة أو النَّصـيب، ويقـال تقسَّـطوا الشـيء بيـنهم أي تقاسـموه وأخـذ كـل مـنهم نصـيبه، ومـن أسـمائه سـبحانه وتعـالى أنـه المقسـط أي الـذي يمـنح بحكمـة، فعلـى ذلـك البيـان فـإن للكلمـة معـاني متعـددة في القرءان الكريم نذكر منها ما يلي:-

١. تأتي الكلمة بمعنى الدِّقة في الكيل والميزان، حيث يقول تعالى:- {وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ } الشعراء١٨٢؛ وأقسط بسكون القاف تعني أدق في العدالة، لقوله تعالى:- { ..... فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } الحجرات٩؛ والإقساط هو العدل في التسمية.

٢ــ والقَسـط بفـتح القـاف يعنـي الجـور، لقولـه تعـالى:- {وَأَمَّـا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً} الجن١٥.

الأمر الذي نخلص منه أن العدل يكون في الحكم، وأن القسط يكون في تنفيذه، وفي أداء الحقوق، وآية اختلاف المعنى والدلالة تكمن

في أن الكلمتين جُمعتا في آية واحدة في كتاب الله بما يدل على اختلاف المراد من المعنى لكل منهما فيقول تعالى:- {وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } الحجرات٩؛ **فهل يستساغ المعنى ليكون فأصلحوا بينهما بالعدل واعدلوا !؟، من هنا وجب التعامل مع كتاب الله بدقَّة المسلم الواعي المتدبِّر الحريص على دينه.**

ولأسفي فإن التفاسير القديمة لم تمايز بين الكلمتين، فها هو تفسير بن كثير يشرح تلك الآية ولا يفرق بين الكلمتين، فيما نص عليه بتفسيره حيث ذكر ما يلي:.

[وقوله: { فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } أي: اعدلوا بينهم فيما كان أصاب بعضهم لبعض، بالقسط، وهو العدل، { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ }

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زُرْعَة، حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي، حدثنا عبد الأعلى، عن مَعْمَر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب (١) ، عن عبد الله بن عمرو؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن المقسطين في الدنيا على منابر من لؤلؤ بين يدي الرحمن، بما أقسطوا في الدنيا".

ورواه النسائي (٢) عن محمد بن المثنى، عن عبد الأعلى، به (٣) . وهذا إسناده جيد قوي، رجاله على شرط الصحيح.

وحدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد، حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عمرو بن أوس، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور على يمين العرش، الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما وَلُوا".

ورواه مسلم والنسائي، من حديث سفيان بن عيينة، به (٤)**]**؛ انتهى الاقتباس من ابن كثير، **فهل لاحظ القارئ ما ذكره بن كثير [بالقسط وهو العدل] بالسطر الثاني من شرحه الذي يعتمد فيه الترادف، مما يفقد القرءان أهدافه التي نزل بها.**

رابعا: الفرق بين الرؤية والنظر والبصر.

هناك من لا يدركون الفرق بين الكلمات الثلاث (نظر/بصر/رؤية)، ونشأ عن ذلك فساد كثير من آراء المفسرين لآيات كتاب الله، وفساد كثير من عناصر ومعاني الدعوة إلى الله، ونظرا لأهمية الأمر، ولعِظَم مسئولية الإنسان تجاه نعمة الله عليه في البصر، حيث قال تعالى: ﴿قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون﴾ الملك؛ فإننا سنجول في سياحة قرءانية للوقوف على الفرق بينهم.

ويقول سبحانه في الآية السادسة والثلاثين من سورة الإسراء:﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ﴾. فيعني ذلك ضرورة الوقوف تحديدا على مهمة البصر وما يعنيه الله بقوله بمسئولية الإنسان عن البصر ومسئوليته عن شكر نعمة الله عليه فيه.

فالرؤية تكون في غالبيتها ناشئة عن النظر، لكن ليست كل رؤيا من النظر، فقد تكون الرؤية غير إرادية، كرؤية الفكر لرأي ما، أو كما يشاهد الإنسان رؤيا منامية، وهنا تكون رؤيا إدراكية دون نظر ودون بصر، وقد تكون الرؤية إرادية دون نظر وذلك حين يستدعي الإنسان مشهد في ذهنه فيعيده على نفسه كي يراه. وقد يصاحب الرؤية إدراك وقد لا يصاحبها إدراك وفقا للحالة التي يكون عليها العقل من استعداد لترجمة المرائي.

أما النظر فيكون بالعين، وقد يكون إراديا وهو الغالب وقد يكون غير إرادي وذلك نادر الحدوث، والنظر قد ينشأ عنه رؤية وقد لا تنشأ عنه رؤية، فالناظر والمحملق في الظلام لا يرى، ومن ينظر إلى مسافة أبعد من قدرة نظره لا يرى، وليس كل نظر ينشأ رؤية ينشأ عنه بصر، فقد ينظر عابر الطريق إلى السيارة ومع ذلك لا يدرك خطورة الأمر (أي لا يقع منه الأمر موقع البصر) فيتأذى بعبوره الطريق.

أما البصر فهو مرحلة التكامل الوظيفي بين النظر والرؤية والإدراك، لذلك فإن المولى عز وجل حين قال: [وقل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم] كان يعني النظر الإرادي الذي تنشأ عنه رؤية وإدراك للمرائي، أما النظر العادي والنظر العابر ونظرة الفجاءة كلها مباحة وليست منهي عنها لذلك فإننا لا نتكلف غض البصر في حياتنا العادية، لكن نكلف به أنفسنا حين يكون النهم النفسي للنظر مخالفا

لرضوان الله، كمثل من يتجسس، أو من يختلس النظرة كي يرى ما ليس له بحق أن يراه، فذلك يجب ترويض النفس لتخفيضه، ولأن الإبصار هو تكامل بين الرؤية والنظر والإدراك، فإن الله تعالى قال عن ذاته العلية سبحانه: {لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ } الأنعام١٠٣.

ولكي تدرك ضرورة تطوير منظومة تفسير القرءان، فإننا نستعرض ما ورد بالتفسير الميسر عن الآية السابقة، حيث ذكر صاحب التفسير الميسر: [(لا تدركه الأبصار) أي لا تراه وهذا مخصوص لرؤية المؤمنين له في الآخرة لقوله تعالى {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة} وحديث الشيخين "إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر" وقيل المراد لا تحيط به (وهو يدرك الأبصار) أي يراها ولا تراه ولا يجوز في غيره أن يدرك البصر ولا يدركه أو يحيط به علما (وهو اللطيف) بأوليائه (الخبير) بهم **]، فتدبر كيف تم الخلط بين الرؤية والبصر والنظر لعدم توافر العلم بالتباين.**

وبإنزال القواعد السابقة على آيات كتاب الله فإننا نجد أن قول موسى عليه الصلاة والسلام لله تعالى فيما سطره كتاب الله بقوله تعالى: {وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى

رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ موسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ} الأعراف١٤٣.

فكلمة (أرني أنظر إليك) تعني أنه كان يريد رؤية الله بعيني رأسه، وليس مجرد رؤية أو رؤيا، ولعلم سيدنا موسى بأن الله لا تدركه الأبصار فلم يسأل الله أن يبصر لكنه اكتفي بطلب الرؤية والنظر.

وقوله تعالى: {وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَسْمَعُواْ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ} الأعراف١٩٨.

يعني أن الله وقد جمع (الرؤية والنظر والبصر) في آية واحدة، ويعني أن الحملقة قد لا ينشأ عنها بصر، فالبصر يعني الإدراك الذي لا يتوفر لكل ناظر. ومن ذلك يقول تعالى: {وَمِنهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يُبْصِرُونَ } يونس٤٣؛ بما يعني أن الهداية تحتاج النظر الفكري والبصيرة الفكرية أكبر من احتياجها لنظرة العيون، وسوف نعود لاحقا لنضرب المثل بتفسير بن كثير عن هذه الآية بالذات لنؤكد أهمية عدم وجود ترادف في القرءان.

وفيما يلي سرد للآيات التي ورد فيها كلمة نظر أو رؤية أو بصر سواء تم الجمع بينها أو بعضها أو لا، وسواء أكانت تعني الرؤية والنظر بالعين أو غير ذلك.

١. تعبيرات متداخلة في آية واحدة.

أ . يقول تعالى: {وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَسْمَعُواْ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ} الأعراف١٩٨. فتداخل بالآية تعبير الرؤية والبصر والنظر معا.

ب . ويقول سبحانه وتعالى: {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} الصافات١٠٢. فتداخل بالآية لفظة النظر والرؤية فقط.

ج . ويقول تعالى: {وَمِنهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يُبْصِرُونَ} يونس٤٣. فتداخل بالآية لفظي النظر والبصر فقط.

د . ويقول تعالى: {وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَـكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ موسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ } الأعراف١٤٣.

٢ : كلمة (أنظر).

أـ يقـول الله تعـالى{انظُرْ كَيْـفَ ضَـرَبُواْ لَـكَ الأَمْثَـالَ فَضَـلُّواْ فَـلاَ يَسْتَطِيعْونَ سَبِيلاً } الإسراء٤٨.

ب . {اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ } النمل٢٨.

ج . {مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ } المائدة٧٥.

٣: كلمـة (ترى).

أ . يقول تعالى: {وَتَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} المائدة٦٢.

ب . {تَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ } المائدة٨٠.

ج . {وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ } المائدة٨٣.

د .{وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ } إبراهيم٤٩.

هـ .{يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ } الحج٢.

و .{وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ} الزمر٦٠.

ز . {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ } الفيل١.

٤ : كلمة (بصر).

أ . يقول سبحانه: {قَدْ جَاءكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ} الأنعام١٠٤.

ب . {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} الأعراف١٧٩.

ج . {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ} يونس٦٧.

د . {ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِأً وَهُوَ حَسِيرٌ } الملك٤.

هـ . {فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ } الحاقة٣٩_38.

وسأضرب المثل للقارئ بأهمية هذه الدراسة لتطوير علم تفسير القرءان بأدوات وإدراك عصرنا، حيث ورد بتفسير بن كثير عن قوله تعالى: {وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَسْمَعُواْ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ}الأعراف١٩٨؛ **ما نصه الآتي:.**

[قوله: { وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ } كقوله تعالى: { إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ [وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (٤)] } [فاطر:١٤].

وقوله: { وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ } إنما قال: { يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ } أي: يقابلونك بعيون مصورة كأنها ناظرة، وهي جماد؛ ولهذا عاملهم معاملة من يعقل؛ لأنها على صور مصورة كالإنسان، [فقال] (٥) { وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ } فعبر عنها بضمير من يعقل**] انتهى الاقتباس من تفسير بن كثير.**

فتدبر ـ رحمك الله ـ كيف كان العلم القديم، وكيف أن ابن كثير كان يدور في فلاة لا يدرك أبعادها، فما فرّق بين رؤية أو نظر أو بصر، بل توسع في شرحه لمناطق بعيدة عن هذا وإن كانت في سياق الموضوع الذي كان يحاول شرحه.

وفي تفسير الشيخ سيد طنطاوي عن ذات الآية ننسخ منه ما خطه فيها فيما يلي: [وقوله { وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ}

بيان لعجزهم عن الإبصار بعد بيان عجزهم عن السمع، أى : وترى هذه الأصنام كأنها تنظر إليك بواسطة تلك العيون الصناعية التي ركبت فيها ولكنها في الواقع لا تبصر لخلوها من الحياة، وبذلك تكون هذه الآيات الكريمة قد وبخت المشركين وآلهتهم أعظم توبيخ] **انتهى الاقتباس من تفسير سيد طنطاوي.**

فتدبر كيف خلط بين الرؤية والنظر، وكيف أنه تصور أن البصر متعلق بالحياة، وكأن كل حي يمكنه أن يُبصر، فجاء تفسيره بلا قدرة علمية تمد القارئ بعلم يفرق فيه بين الرؤية والنظر والبصر الواردين بالآية، وهكذا نهج كل التفاسير التي نستظل بها ولا نريد أن يكون لجيلنا توقيع في تفهم القرءان ليخرجنا من شرنقة الجمود، ووقف الاجتهاد ومحاربة المفكرين.

لكن مما يهمنا أن نخلص إليه أن هناك تكامل وظيفي بين العين والدماغ للقيام بعملية الإبصار، ومما يعينني من علم الآخرين أستعير بعض العناصر التالية:

نظر بلا رؤية؟ أو رؤية بلا نظر؟.

بناء على الحقائق الأساسية السابقة فإن عملية الإبصار لا تتم إذا انعدام أحد شقيها.. ولكن الشق الذي يتم أداؤه يأخذ شكل ظاهرة غير

مألوفة لأنها تمثل عملية فسيولوجية ناقصة، والظاهرتان المحتملتان كنتيجة لهذا الانفصال الأدائي بين العين والمخ هما:

١ـ النظر بلا رؤية: وهنا يحدّق الناظر بعينين سليمتين مفتوحتين في الجسم الموضوع أمامهما ـ مغموراً في الضوء ـ ولكن الناظر إذا سئل عما أمامه لأنكر أن أمامه شيئاً على الإطلاق (وهو في ذلك صادق لأنه بالفعل لا يبصر شيئاً بسبب عدم قيام مركز الإبصار بعمله في وقت النظر).. والنظر بلا رؤية ـ وبالتالي بلا إبصار ـ يحدث عندما يكون الناظر شارد الذهن أو في حالة رعب شديد مفاجئ أو واقعاً تحت تأثير الخمور أو المخدرات... فكل هذه تسبب عطلاً مؤقتاً لخلايا المراكز العصبية في المخ (بما فيها مركز الأبصار).. والنتيجة هي حالة عمى مؤقت يزول بزوال أسبابه.. أما إذا أصيبت خلايا مركز الإبصار بتلف عضوي فالنتيجة هي العمى الدائم (على الرغم من سلامة العينين).... والعمى الدائم يمكن أن يحدث أيضاً رغم سلامة العينين وسلامة مركز الرؤية أيضاً وذلك في حالة تلف العصب البصري.. والسبب في هذه الحالة هو أن عملية الإبصار تتوقف عند الحد الفاصل بين النظر والرؤية (أي: أن الصورة الواقعة على الشبكية لا تجد ما ينقلها إلى مركز الرؤية).

وحالات النظر بلا رؤية معناها عدم القدرة على الإبصار بسبب انعدام الركن الفعلي أو الإدراكي وهو الرؤية... تماماً مثلما أن الصورة

الفوتوغرافية تظل خافية على الفيلم الخام ما لم يتم (تحميضه). [وبالمناسبة هذه العملية التي نسميها (تحميضاً) يطلق عليها في لغات أخرى غير عربية اسم آخر أكثر دقة في التعبير عن طبيعتها هو (development) بالإنجليزية أو (entwicklung) بالألمانية، ومعنى الكلمتين بالعربية هو تكوين.. وهو نفس اللفظ المستعمل علمياً في جميع اللغات للتعبير عن عملية تخليق الجنين في ظلمات الرحم].

٢ـ الرؤية بلا نظر: وهي تحدث نتيجة عطل في عضو النظر (العين)، أو عضو نقل الصورة (العصب البصري) أو كليهما، بشرط بقاء المراكز العصبية (وأولها مركز الإبصار) سليمة عضوياً ووظيفياً، والرؤية بلا نظر يمكن أن تحدث أيضاً رغم عدم وجود ما يمكن النظر إليه أصلاً.. وذلك باستحضار بعض المشاهد القديمة من الرصيد المخزون من عمليات إبصار سابقة، وهذا يدخل في باب (أحلام اليقظة).. قياساً على الأحلام التي (نراها) أثناء النوم.

وللتعليل على انعدام ركن النظر (وبالتالي انعدام أهمية العين) في هذه الأحوال، يكفي أن أذكر بأن استحضار المشاهد القديمة يتم بصورة أفضل إذا أغمض المرء عينيه. لأنه عند فتح العينين فإن ما تقعان عليه من (منظورات) تتداخل صورها مع الصور التي يستحضرها

المخ (وهي مجرد مرئيات)... ولهذا يحدث (تشويش) على مركز الرؤية.

ولننتبه إلى تأثير ما سبق على تفسير القرءان، وعلى أرض الواقع، فقوله تعالى بسورة النور:{ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ{٣٠} وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ....{٣١}؛ فالأمر لا يعني إغلاق عيون النساء عن الرجال ولا الرجال عن النساء، لكن الأمر يعني النظر العمد والمحرم بين الطرفين، فكل منهما يريد أن يُبصر شيئا في الآخر، وذلك البصر فقط هو المنهي عنه، أي نظر مع إدراك العقل للمرئيات المنظورة بالعين فيما حرم الله، وعلى ذلك فما نراه من سلوك الفتيان والفتيات بالجماعات الإسلامية حين يُكلم أحدهما الآخر، فإني أجدهم يغضون طرف نظرهم، بينما لا توجد بينهما شهوة أو حتى مجرد الفكرة فيها، لكنهم ينفّذون فكرا عن البصر لكنهم ينفذونه في النظر.

كذلك حين قال تعالى بسورة القمر: { اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ{١} وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ{٢}؛ فقال بن كثير في تفسيره نقلا عن ابن حنبل بمسنده ما يلي: [قال: انشق القمر على

عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى رأيت الجبل من بين فرجتي القمر].**انتهى الاقتباس من ابن كثير الذي دمج بعدها تفسيره للآية الثانية { وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ{٢} فكأنه يرد أن يفهم الناس أن الآية التي تعنيها الآية رقم (٢) هي انشقاق القمر الوارد بالآية رقم (١) وهذا برأيي تدليس سنتناوله من وجهة معنى كلمات [اقتربت، انشق، يروا، آية] وذلك فيما يلي:.**

حين يتكلم القرءان عن أحداث الساعة فإنه يوردها وكأنها حدثت بالماضي بما في ذلك انشقاق القمر وليس انشطاره، فالشق غير الشطر، حيث كان يمكن لله أن يقول [وانشطر القمر] حتى يكون الجبل بين فرجتي القمر كما ذكر بن حنبل وابن كثير، مما يشكك في الروايات.

والفعل الماض عن أعمال سترد بالمستقبل وردت بمواضع كثيرة جدا بالقرءان، منها مثلا قوله تعالى: {وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاء وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ }الزمر٦٩؛ فلا يمكن أن ينصرف أمر انشقاق القمر للماض أو انها حدثت على عهد رسول الله الذي كانت معجزته فكرية ولم تكن مادية.

وكلمة (يروا) لا تعني النظر ولا البصر، لكن تعني الإراءة، بما يعني فرضية أن يروا آية، ولن يريهم الله آية لأن آية الإسلام هي القرءان، لذلك جاءت كلمة (آية) ـ وهي التي لن تحدث ـ منكرة، فهي

بهذه الصورة لا تتعلق بواقعة انشقاق القمر، فلو كانت متعلقة بانشقاق القمر لقال تعالى وإن يروا الآية، فيعرِّفها بأداة التعريف (أل)، لكن ورودها منكرة تعني (أي آية).

كما أن تعبير (إن يروا) فعل مضارع يفيد المستقبل، فلو تعلقت الآية الأولى بالثانية لكانت الآيتان تعبران عن أحداث الساعة بالمستقبل

ننتهي مما سبق إلى أن تذوق الخطاب القرءاني لا يكون باستسهال القول بالترادف أو النسخ بلا دراية بأمور كثيرة، بل بالكد والجهد حتى نتمكن من فهم الخطاب القرءاني، وبضرورة إصدار تفاسير من فكر جيلنا، وكل جيل، ويستخدم فيها أدوات كل عصر، حتى ندرك المرامي القرءانية، وحتى يكون التذوق مستساغا لأهل كل عصر.

خامسًا:- القلب والفؤاد.

ومن ضمن الإشكاليات بين حقيقة اللغة وبين استخداماتها ما ظنه الناس في كلمتي القلب والفؤاد أنهما بمعنى واحد، وهنا يجدر الإشارة إلى أن ورود الكلمتين في القرءان كان لاستخدامات مختلفة ومعان مختلفة فقد جمعهما القرءان في آية واحدة فقال: {وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } القصص١٠.

فالفؤاد هو موطن استقبال وإدراك الأحاسيس ووعاء تخزين المعرفة المادية المكتسبة بواسطة الحواس، فالعين تنظر لكنها لا تُبصر، والإذن تسمع لكنها لا تعي، لكن الذي يدرك ويعي هو الفؤاد، ودوما يكون ذكر الفؤاد في القرءان بعد السمع والبصر، فيقول تعالى:- {قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ } الملك٢٣؛ والمجنون يرى ويسمع، لكنه لا يعي.

والفؤاد هو موطن اليقين القاطع، وذلك من قوله تعالى:- {وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ } هود١٢٠.

والأفئدة هي المراكز الحسِّيَّة في الجهاز العصبي المركزي، أما الفؤاد فهو الجزء الخلفي من القشرة المُخِّيَّة التي تشمل الفص القَفَوي والصَّدغي والجداري لمنطقة المخ، وبه يتم وعي وإدراك الإشارات القادمة من الحواس.

أما القلب فهو مقر اتخاذ القرار بعد فقه الأمور، فيقول تعالى:- {...... لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا ..... } الأعراف١٧٩.

ويقول تعالى:- {رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ} التوبة٨٧؛ والقلب متصل بالغيب وحيا أو إلهاما، وذلك لقوله:- { نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ{١٩٣} عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ{١٩٤} الشعراء؛ وقوله تعالى:- { .... فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ }الصف٥؛ والقلب هو موطن الإيمان أو الكفر، وموطن نوازع النفس، ومبتدأ النوايا والأعمال الإرادية.

ومكان القلب هو صدر الدماغ، أما القلب المتعارف عليه بين الناس وهو القلب العضلي، فذاك ليس بمقصد القرءان، لأنه من الأحشاء، وليس في مقدمة الجسم، لأن صدر أي شيء هو مقدمة أوله، (راجع لسان العرب الجزء الرابع ص٢٤١٠ طبعة دار المعارف).

فحين يقول تعالى:- {.......... فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ } الحج٤٦؛ لا يدل ذلك على القلب الموجود بالقفص الصدري، إنما كلمة الصدور تعني أول الجسم وأعلاه فذاكم هو صدر الجسم وأوله، فإذا كان الأصل في الإنسان أنه قائم فإن أوله وصدره ومقدمته تكون في جبهته، وهى جزء من الدماغ، وآية ذلك ما جاء بالقرءان {........ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ } آل عمران١١٨؛ يعني ما تخفي أدمغتهم أكبر.

والخلاصة في هذا الصدد، أن القلب هو موطن اتخاذ القرار، ويستمد قراره من إدراك الفؤاد للأحاسيس الواردة له من الحواس، وهو بمقدمة الدماغ، أما اتخاذ القرار فهو شأن القلب الذي هو مؤخرة الدماغ.

ومن عجيب غالبية أمَّتنا الإسلامية التي لا تستفيد من تجارب وأعمال الآخرين، أن كل ما سبق بيانه عن القلب والفؤاد، كان الحافظ الترمذي . وهو من علماء القرن الثالث الهجري . قد كتبه في كتاب منذ أكثر من ألف ومائة سنة، وتم حفظ مخطوطته في دار الكتب المصرية منذ أكثر من خمسة وسبعين عاما، وبمكتبة لندن صورة من هذا الكتاب، وحققه الأستاذ الدكتور/أحمد عبد الرحيم السايح منذ عدَّة سنوات، لكن أغلب الدُّعاة لا يقرءون والفقهاء لا يطَّلعون، حتى نظل على ما نحن فيه، نظن أن القلب هو الفؤاد، ونطرب حين تُغنِّينا سيدة الغناء العربي(يا فؤادي لا تسل أين الهوى)، وحين يُغنِّينا عبد الحليم حافظ (على قد الشوق اللي في القلب) مع أن الشوق يكون في النفس، لكن ليس المهم أن نعلم، لكن المهم أن نطرب، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله.

سادسًا:- الوحدانية والأحدية.

يخلط الكثير، فيظن أن سورة الإخلاص حين تبدأ بقوله تعالى:- {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}الإخلاص١؛ فيظنون أنها تعني أن الله واحد، أو أنها تعني بما يسمونه علم التوحيد، وهو من أمور الارتجالية وعدم الاهتمام

بالدين في أهم خصائصه وهو العقيدة، ولقد كان من الواجب على المسلم التفرقة بين الوحدانية والأحدية.

فالوحدانية تعني أن الله واحد، وهو ما ورد في قوله تعالى:- {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ } محمد ١٩.

أما الأحدية فتعني تفرُّد الله في الصفات التي لا شبيه لها ولا مكافئ ولا ند بما يعني أن قوله تعالى:- {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} الإخلاص ١؛ فيكون مقصده (قل أن الله لا مثيل له ولا شبيه ولا ند ولا مكافئ)، وهو ما عناه الله بقوله:- {........ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ } الشورى ١١.

فعلى ذلك فإن سورة الإخلاص تعني كمال الله في صفاته وحقائقه وتفرُّدها فلا يُقارن الله بأحد، ولا بشيء، ولا بالآلهة المصطنعة، لأنه ﷻ لا ند ولا شبيه له.

أما الوحدانية فتعني أنه لا شريك له في مُلكه فهو صاحب الألوهية، وهو الخالق الأوحد، وهو المالك الأوحد بلا منازع، وهو الحاكم الذي لا يُشرك في حُكمه أحدًا، حيث يقول تعالى:- {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ }النمل ٢٦؛ ويقول تعالى:- {إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً } طه ٩٨.

أما ما يطلق عليه اسم علم التوحيد، فهو برأيي من المقولات غير المنضبطة التي ابتلينا بها على يد من بلانا، لأن التوحيد يعني

توحيد الأجزاء أو الأفرع، وهو يناسب ما تقول به النصارى (باسم الآب والإبن والروح القُدُس إله واحد آمين)، فهو عندهم إله واحد ولكن في أقانيم ثلاثة، بذلك فهم يقومون بتوحيد الأجزاء، فهل نعيش بأفكارهم ونقول (علم التوحيد) ولا ننتبه؟؟؛ أرى أن نقول علم الوحدانية، أو الأحدية، لكن لا يجب أبدا أن نقول علم التوحيد، لكن مع قناعة كل من يقرأ هذا فإن علمي سيندثر وسيبقى القديم رغم أنف كل المصلحين والمجددين، وما ذلك إلا لدين الآبائية الذي نمارسه.

وقد دوَّن ابن منظور في كتابه لسان العرب بالجزء السادس ص٤٧٨٢ ما يلي:[أما قول الناس: توحد الله بالأمر وتفرد، فإنه وإن كان صحيحا فإني لا أحب أن أتلفظ به في صفة الله تعالى في المعنى إلا بما وصف به نفسه في التنزيل أو في السُنَّة.....وفي الحديث (إن الله لم يرض بالوحدانية لأحد غيره...)]، لذلك أرى تغيير اسم علم التوحيد ليكون علم الوحدانية أو الأحدية.

سابعًا:. الفرق بين الأب والوالد، والأم والوالدة.

وقد يجدر بي أن أسطر الفرق بين الأب والوالد، فالأب في القرءان يُراد به ـ في غالب النصوص ـ الجانب الخُلُقي في الإنسان، لما له من تأثير تربوي في التنشئة والسلوك، أما الوالد فيُراد به الجانب

العاطفي وماله من تأثير روحي مُراد في صلة الأرحام، فالأب ليس بالضرورة أن يكون الوالد، وإنه في حالة موت الوالد والوالدة يُطلق على الجَد والجَدَّة لقب الأبوين لأنهما يتوليان زمام التربية والنشأة بدلا من الوالدين الذين توفيا، والولد يحمل من الصفات الوراثية لوالده ولا يحمل تلك التي تكون للأب (وذلك في حالة وفاة الوالد).

لكن الأمر مختلف بالنسبة للأم لأن مسئوليتها في التربية مسئولية فرعية فاختصاصها الأساسي يكمن في الرعاية، لذلك فإن القرءان حين يذكر كلمة الأم يعني الأم التي ولدت الطفل، فيقول تعالى: {خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ } الزمر٦؛ وقد تكون الأم أُمًا شرفية للتحريم مثل زوجات النبي فهن أمهات للمؤمنين بنص قرءاني، وللأمومة فرع أبوي يلزمها أن تربي أولادها فإن لم تقم بهذه المهمة تحول حق الإرث المخول لها لمن قامت على تربية الإبن، وهو ما سيأتي تفصيل بيانه.

والفرق بين الوالد والأب ينبني عليه أن نعلم بأن البر المفروض علينا من الله يكون للوالدين وإن لم يربياني وإن لم ينفقا عليَّ، تماما كشأن ما تم بين سيدنا إبراهيم وإسماعيل، فقد كان بر سيدنا إسماعيل لوالده دون أن ينفق عليه والده أو يربيه، لذلك يقول تعالى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً } الإسراء٢٣.

وحين يتغير لدينا مفهوم معنى الأبوة والأمومة فينبني عليه تغير في مفهوم من يرث ومن لا يرث من الوالدين، ولذا يجب التفرقة حين إدراك اللفظ القرءاني بين (الوالد والوالدة والأب والأم) بمعنى أن الوالد أو الوالدة أو هما معا طالما قاما ـ أو أحدهما ـ بواجب الرعاية والتوجيه والتربية والإنفاق فإنه يحق لهما أن يرثا ذلك الإبن إن توفاه الله قبلهما، أما الذي جحد ولم ينفق ولم يربي وهجر أبناءه فليس له حق في الميراث، ويذهب حق الميراث لمن رباه وقام على رعايته، وفي ذلك يقول تعالى: {يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاء فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَآؤُكُمْ وَأَبناؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيما حَكِيماً } النساء١١.

أما ذلك الوالد أو الوالدة اللذين حدا صغيرهما فليس لهما حق إرث في تركة ابنهما الميت، لكن يمكن له أن يوصي لهما قبل موته، ويمكن أيضا لورثة ذلك الإبن من زوجته أو أولاده أن يعطوا بعضا من التركة للوالدين تفضلا منهم عليهما، وكل ذلك وارد في قوله تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ}البقرة١٨٠؛ وقوله تعالى: {وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُواْ الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً }النساء٨.

فهكذا نجد فوارق وحدود بين لفظ والد وأب، وبين والدة وأم، وهو ما يمكن أن ينبني عليه ـ حال التحقق وبعد التحقيق ـ تغيير في علم المواريث المعمول به الآن.

ثامنًا:ـ الفرق بين أتـى وجاء وحضر وأقبل.

ومما يُظنُّ بـه التَّرادف وهو لـيس بترادُف كلمـات (أتـى وجـاء وحضـر وأقبـل)، فالإتيـان أمـر تُحـيط بـه هالـة مـن الشـك، والغمـوض، والجهل، والتكذيب، والغيب، وعدم القصد.

أما المجيء فتحيط به ثُلَّة من معاني الجلاء، واليقين، والعلم، والتصديق، وتحقق الوقوع، والقصد، مثل قولـه تعالى:- {وَجَاءتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ ....} يوسف١٩؛ بما يعنـي الحضور الفعلـي، أمـا الإتيـان

فمثل قولـه تعالـى:- {أَتَـى أَمْرُ اللّـهِ فَـلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}النحل١؛ وقولـه سبحانـه: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ } البينـة١؛ راجـع [الترادف في القرءان الكريم بين النظرية والتطبيق طبعة ١٩٩٧ ص ١٥١ لمحمد نور الدين المنجد].

فالإتيان يكون لأمر حدث لكنه قد يكون غير منظور على أرض الواقع، أما المجيء فهو التحقق من الإتيان لذلك يقول تعالى عن أحد أحداث وحقائق يوم القيامة: {وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً } الفجر٢٢.

ولقد جمع القرءان بين المجيء والإتيان في آية واحدة ونجد ما ذكرناه من فروق جليا، حيث يقول تعالى: {قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ } الأعراف١٠٦؛ وقوله تعالى: {قَالُواْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِينَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ } الأعراف١٢٩؛فمن يتدبر يجد الفرق بين اللفظين، فالمجيء واقع مؤكد أو أمر مصدق ومحتم، أما الإتيان فأمر خبري لا نعاينه واقعا ملموسا.

أمـا الحضـور مثـل قولـه تعـالى: {عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ } التكوير١٤؛ فهو يعني المجيء حتى وإن لم يعاينه الشخص بذاته؛ وقد ورد في القرءان في غالب الأمر عن حضور الموت، وحضور العذاب ومثلهما، والحضور هو أيضا مجيء الشخص نفسه أو عمله، والحضور يكون شخصيا في غالب الأمر لكن المجيء يكون في غالبه من شخص أو شيء منفصل عنك.

ولنتخذ مثلا عن الفرق في مراد الله عن الموت في كلمة جاء وكلمة حضر، حيث يقول تعالى: {أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } البقرة١٣٣؛ وبين قوله سبحانه: {حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ } المؤمنون٩٩.

أما حضور الموت فيعني بزوغ علاماته وهو ما حدث لسيدنا يعقوب حيث شعر بأن موته مؤكدا ومشاهدا ومحسوسا فجمع أولاده وقال لهم [ما تعبدون من بعدي]، أما مجيء الموت لشخص فإنه قد يكون واقع فعلا ومحتما بل ودخل في سكراته، أي أن من جاءه الموت يكون قد تجندل في سكراته، لكن حضور الموت معناه بأن هناك برهة لذلك التجندل في سكراته والدخول في معتركه، وقانا الله وإياكم سكراته وما يصاحبها من أمور.

ودليل عقلي على أن مجيء الموت يعني الاحتضار وذلك من قوله تعالى: {حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ } المؤمنون٩٩؛ فهو إخبار الله لنا بأن الكافر يقول حين يحضره الموت: [رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت]، فلابد أن يكون لدينا يقين بأن كل كافر يقول هذا، لكن لن يسمعه أحد لأنه دخل في سكرات الموت، مما يدل على أن مجيء الموت يعني الدخول في سكراته، وبدء الانعزال عن أهل الدنيا، وإلا إن كانت الناس ستسمع هذه المقولة من بضعة آلاف ممن يجيئهم الموت لكنا بصدد تزاحم على الدخول في دين الإسلام.

أما حضور الموت أي بداية علاماته فإنها تسع الإنسان أن يتكلم ويوصي، لذلك يقول الله تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ } البقرة١٨٠، بما يعني وجود واجب لمن حضره الموت أن يوصي فيما يجب الوصاية فيه، بما يدل على عدم انعزاله عن الحياة رغم حضور الموت له.

وإنه من العسير عليَّ أن أذكر أن انتهاج كثير من الدعاة منهج عدم وجود ترادف بالقرءان، وقل عدم تحديد الحدود الفاصلة بين معاني الكلمات بشكل لا لبس فيه، أن نشأ تحقق عند الكافرين بعدم صحة القرءان، إذ أنهم يرون موتاهم لا يقولون العبارة التي أوردها القرءان بسورة المؤمنون وهي: [رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت]، لكن إن كان قد تم التمييز بين الكلمتين (حضر وجاء) على النحو الذي أسلفنا ما تمكن أهل الكفر أن يتعللوا بعللهم.

أما كلمة أقبل فهي كلمة تستخدم غالبا للإخبار، مثل قول ربنا تبارك وتعالى: {وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ }الطور٢٥؛ وقد تكون بلغة الأمر وهي تختلف في ذلك وتتمايز عن كلمات (أتى وجاء وحضر)، مثل قوله تعالى: {...... يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ} القصص٣١.

والإقبال إن كان خبريا فهو يعني مرحلة ما بين الإتيان والمجيء، أي بزوغ علامات المجيء، مثل (أقبل الليل)، فهذا التعبير يكون في أول حضور الليل.

لذلك فإن إعادة بذل الجهد لتفسير القرءان تفسيرا عصريا تراعى فيه تلك الفوارق، سيحدث به اختلاف في تذوق معاني القرءان، ومنع رتابتها التي استفحلت فينا نتيجة لتقيدنا وتقديسنا أعمال الأولين ونفورنا من أفكار المحدثين.

تاسعًا :. الشح والبخل.

فالشُّح هو منع الخير عامة، واعتياد منعه عن مستحقيه، وهو كامن في ذات النفس ومتمكن منها، أما البُخل فهو منع المال أو العطية، والبخل هو بعض من الشُّح وهو في ذات اليد، ويزيد وينقص ويتجدد، ويمكن للبخيل أن يتخلَّص من بُخله، أما الشُّح فلكونه راسخ في النفس فهو لا ينفك عنها إلا أن يشاء الله أن يُخلِّص الشَّحيح من شُحِّه، لذلك فالمولى . عزَّ وجل . يقول: { فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْراً لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } التغابن١٦.

وعن اعتياد الشحيح منع الخير عن مستحقيه دوما، يقول تعالى: {أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاء الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِالسُنَّة حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً} الأحزاب١٩.

من أما البخل فهو منع المال أو العطية، فذلك من قوله سبحانه وتعالى: {الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً } النساء٣٧. **فهم لا يكتفون ببخلهم لكنهم ينصحون الآخرين أن يبخلوا.**

ويقول سبحانه: {وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} آل عمران١٨٠؛ **وعن أنه في بخل العطية من ذات اليد يقول تعالى: {فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ }** التوبة٧٦.

لكن انظر لتفسير بن كثير وهو لا يفرق بين الشح والبخل حين قام بتفسير قوله تعالى (أشحة عليكم) الواردة بسورة الأحزاب آية رقم ١٩، حيث يذكر ما يلي:[وهم مع ذلك { لا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلا قَلِيلا. أشحةً عليكم } أي: بخلاء بالمودة، والشفقة عليكم. وقال السُّدي: { أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ } أي: في الغنائم]. فذكر بأن الشح هو البخل بالمودة أو في الغنائم]، **وهو غير ملائم. وبتفسير بن عباس ذات الأمر فتجده يذكر: [**{ أَشِحَّةً عَلَى الخير } بخيلة بالنفقة في سبيل الله**]، ويقع الشيخ سيد طنطاوي بذات**

الخطأ في تفسيره حيث يذكر: [{ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ } ، جمع شحيح من الشح وهو البخل في أقبح صوره .**]**.

عاشرًا:. النَّصَب واللُّغُوب.

من بين ما يتصوَّره بعض الناس من الذين يقرءون القرءان ولا يستمتعون بحلاوة معاني ألفاظه والفروق بينها... كلمتا (النَّصَب و اللغوب)، فقوله تعالى:- {الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ }فاطر٣٥؛ تجد فيه الفرق بين النَّصَب واللُّغوب بينما تجد القارئ للقرءان في حالة ذهول عن الفرق في المعنى بينهما، فالنَّصَب هو التَّعب، أما اللُّغوب فهو الفتور الذي يصيب المرء بسبب النَّصَب، فالنَّصَب هو كُلفة النَّفس، مثل قوله تعالى: {فَلَمَّا جَاوَزَا

قَـالَ لِفَتَـاهُ آتِنَـا غَـدَاءنَا لَقَـدْ لَقِينَـا مِـن سَـفَرِنَا هَـذَا نَصَـباً } الكهف٦٢؛ فكلمة (نصبا) الواردة بالآية تعني (تعبا).

لكـن الفتـور هـو النتيجـة، وهـو مـا يُسـمَّى بـاللغوب، ويسـمى بالإعياء، وهو ما يناسب قوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ }ق٣٨، أي فتور أي يمكن لله أن يخلق مثلهم بلا فتور ولا إعياء، ولا يصح أن نقول لا يمسنا تعب، لأن التعب غير الإعياء والفتور اللذين يعنى بهما الإجهاد نتيجة التعب.

وكنتيجة مباشرة لعدم اهتمام التفاسير القديمة بتوضيح الفروق في المعنى بين الكلمات تجد ابن كثير يدون بتفسيره عن تلك الآية ما يلـي:[والنَّصَب واللغوب: كل منهما يستعمل في التعب، وكأن المراد ينفي هذا وهذا عنهم أنهم لا تعب على أبدانهم ولا أرواحهم (٤)، والله أعلم. فمن ذلك أنهم كانوا يُدْئِبُون أنفسهم في العبادة في الدنيا، فسقط عنهم التكليف بدخولها، وصاروا في راحة دائمة**]، فهل من المقبول أن نذكر بأن كل منهما يستخدم في التعب؟!، إنه تعميم لا يفي بالغرض.**

حادي عشر:. الفرق بين المخلَصين والمخلِصين.

هناك فارق ضخم بين كلمة المخلَصين بفتح حرف اللام وكلمة المخلِصين بكسر حرف اللام، فكلمة المخلَصين (بفتح حرف اللام) تعني الذين خلَّصهم الله تخليص تشريف وتكريم ليَصلُحوا للقيام بالمهمة التي اصطفاهم لها، وهي النُّبوَّة أو الرسالة، وذلك من قوله تعالى عن سيدنا يوسف عليه السلام:- { وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}يوسف٢٤؛ وقوله تعالى عن سيدنا موسى عليه السلام:- {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى

إِنَّـهُ كَـانَ مُخْلَصـاً وَكَـانَ رَسُـولاً نَّبِيّـاً } مريم٥١؛ وهـو اختيـار اجتبـاء، وقـد يكون تخليص جائزة نتيجة كثرة الإخلاص،.

أما كلمة مخلِص (بكسر حرف اللام) فتعني البذل والجد والجهد والكد للوصول إلى الهدف وذلك من قوله تعالى:- {إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَـابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ } الزمر٢؛ وقوله تعالى:- {قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَـهُ الدِّينَ كَمَـا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ } الأعراف٢٩.

نخلـص ممـا سـبق أن الأنبيـاء كـانوا علـى درجـة الإخـلاص الممنوحة تكريما وتشريفا من الله، أما سيدنا محمد ﷺ فإن إخلاصه كـان وليد بذل وكد في سبيل الله لذلك فلا عجب أن يكون مقامه يوم القيامـة مقامـا محمـودا، يغبطـه عليـه كـل الخلائـق، ومـن عبـاد الله مـن أكثـروا الإخلاص حتى جعلهم الله من المجتبين.

ثانـي عشر:. المطر والـغيث.

ذكرت الكلمتـان بـالقرءان وهنـاك من يظن بأنـهمـا صنوان لمعنـى واحـد وهـو نـزول مـاء مـن السـمـاء، وهـذا تصـوّر بالاتجـاه الخطـأ، فقـد خصص القرآن الكريم الغيث في سياقات النفع والخصب والخير، خصص المطر في سياقات العذاب والنكال، فلفظ الغيـث يحمل معاني فـي الخير والعون، ولـذلك يـأتي فـي مواضـع إظهـار النعمـة والمـنّ بهـا علـى العبـاد ومنـها قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي

الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } لقمان٣٤، **وقوله سبحانه: {وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ }** الشورى٢٨؛ **فالغيث رحمة من الله ومنّة وفضل.**

أما المطر فقد ورد – أسماء وأفعالاً – في خمسة عشر موضعاً في القرآن الكريم ، منها أربعة عشر موضعاً في العذاب والعقاب صراحة، ومن ذلك قوله تعالى: {..... وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً } النساء١٠٢.

ولا يخفي من السياق السابق أن تعبير " أذى من مطر" غير موضع غيث، فالماء إذا زاد عن حدُّه صار هلاكاً كالفيضان والسيل، واقتران المطر بالمرض في السياق السابق يزيد الصورة وضوحاً، فهو موضع شدة ومشقة، وهذه الظلال تختفي لا ريب إذا كان اللفظ هو الغيث الذي يحمل معاني الفرج والعون والحياة. فلفظ الغيث يحمل معاني في الخير والعون، ولذلك يأتي في مواضع إظهار النعمة والمنّ بها على العباد.

وقد ورد لفظ المطر – أسماء وأفعالاً – في خمسة عشر موضعاً في القرآن الكريم، منها أربعة عشر موضعاً عن العذاب والعقاب في نص صريح، ومن ذلك قوله سبحانه: {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَانظُرْ كَيْفَ

كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ } الأعراف٨٤؛ ولعل ذلك المعنى يقوى عند القارئ بقوله تعالى: {وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُوراً} الفرقان٤٠.

كذلك قوله تعالى: {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَسَاء مَطَرُ الْمُنذَرِينَ}النمل٥٨& الشعراء١٧٣؛ يؤكد في جلاء بأن ورود كلمة مطر تعني العذاب.

والمطر النازل من السماء قد يكون شيئا غير الماء، بل ورد ذلك بالقرءان بأكثر من موضع، كقوله تعالى: {فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ} هود٨٢؛ وقوله جل شأنه: {فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ} الحجر٧٤؛ بل لقد استخدم السياق القرءاني تعبير (مطر بالحجارة) على لسان الناس، فقال سبحانه: {وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } الأنفال٣٢؛ وكلها سياقات تدل على أن المطر إنما هو عذاب، نسأل الله السلامة.

ثالث عشر:. الملك والملكوت.

الملكوت هو كل ما يظهر وما لا يظهر من عالم الخلق وعالم الأمر، وهو الأسرار الحقيقية والقوانين التي تحرك ذلك الملكوت وما يحوي من ملك، وهو الطاقات الخفية، والعلاقات والروابط غير المرئية، ونحن مطالبون بالبحث فيها ووراءها وقد يفتح الله لبعض المجتهدين من خلقه فيصل إلى بعض منها، وتدبر قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا

خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ} الأعراف١٨٥؛ فالآية تؤكد مهمة الإنسان الموكولة إليه من رب العالمين بالنظر في ملكوت السماوات والأرض، فالنظر فيها وبحثها بحثا جادا بل ومتعمقا عند بعض المتخصصين في علوم الأرض أو الفلك يعين البشرية على حسن الإيمان.

والملكوت يحوي داخله معنى الملك، فالملك شيء محدد بذاته، أما الملكوت فهو مقاليد وأسس وجذر كل شيء، وتدبر قوله تعالى: {فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} يس٨٣.

والملكوت بيد الله وحده بينما قد يهب الله الملك لمن يشاء، فعن اختصاص الله بالملكوت يقول تعالى: {قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} المؤمنون٨٨؛ وعن هبة الله بعضا أو أحدا من خلقه بعض الملك، وكذلك نزع ذلك الملك، يقول تعالى: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }آل عمران٢٦؛ فتعبير (مالك الملك) غير تعبير (مالك) بينما كلاهما يعبران عن الملكية.

وقوله تعالى بشأن منحه الملك لمن يشاء: {فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى

الْعَالَمِينَ } البقرة٢٥١. بينما الملكوت، وهو قوانين صنع عالم الأمر والخلق لا يؤتاه أحد ولا يستطيعه أحد ولا ينزعه أحد فهو من قدر الله.

والملك يعود إلى الله يوم القيامة، فلا أحد يملك شيئا حتى وإن كان مالكا له في الدنيا، فملكية كل الخلائق ملكية عارضة بينما ملكية الله مطلقة، وفي ذلك يقول تعالى: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّوَرِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ } الأنعام٧٣؛ وقوله سبحانه: {يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ } غافر١٦.

وملوك الدنيا ومن يملكون فيها بإذن الله قد يكون لهم شركاء أو منازعين في الملك لكن أحدا لا ينازع الله في ملكه، وهذا أمر خارج سياق البحث الماثل.

رابع عشر: الفرق بين الريح والرياح.

ومن الكلمات المتباينة كلمتي (الريح والرياح)، فللقرءان منهج حين ترد كل منهما، فكلمة (الريح) ترد حين يراد ذكر العذاب، وذلك من قوله تعالى: {مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هِذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } آل عمران١١٧؛ وكقوله سبحانه: {مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ } إبراهيم١٨. وقوله سبحانه: {فَأَرْسَلْنَا

عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ } فصلت١٦.

لكن إن ذُكرت الريح بخير فإن القرءان ينبه على هذا لأن الأصل في الريح أن تكون للعذاب، كقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنِّ مِنَ الشَّاكِرِينَ } يونس٢٢؛ وكقوله تعالى: {فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاء حَيْثُ أَصَابَ } ص٣٦.

وقد تكون كلمة (ريح) لا تعني الهواء لكن تعني معان أخرى، مثل قوله تعالى: { وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } الأنفال٤٦؛ فقد وردت بمعنى (قوتكم)، وقد ترد بمعنى طيف الإحساس، كقوله تعالى: {وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ } يوسف٩٤.

لكن الرياح تعني الخير، وذلك من قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْموْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } الأعراف٥٧؛ ويقول جل في علاه: {وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ

النُّشُورُ } فاطر٩؛ ويقول سبحانه: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} الروم٤٦.

لذلك فكلمة (الريح) لها استخداماتها، وكلمة الرياح لها استخدامات أخرى وفق القواعد السابقة.

خامس عشر:الفرق بين استمع و أنصت وأصغى.

الاستماع غير الإنصات، فقوله تعالى: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } الأعراف٢٠٤؛ يعني أن الاستماع بالأذن، أما الإنصات فهو الاستماع بإمعان بغية الإدراك بالعقل، فلا يمكن أن نقول لمن يريد الاستماع كلمة (أنصت) إلا إن كنا نريد منه الانتباه لما يقال بينما هو ذاهل عنه.

وقد يكون السمع بغير أُذُن إذا كان المراد منه الإجابة، كقولنا بالصلاة (سمع الله لمن حمده)، أي استجاب الله لمن حمده، أو اللهم

استجب لمن حمدك، ومنه الحديث [اللهم إني أعوذ بك من دعاء لا يُسمع] أي لا يستجاب له.

والسميع هو الله الذي يسمع بغير تشبيه ولا تعطيل ولا توقف على معنى وجود أذن لله، فسبحانه وتعالى {فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ } الشورى١١.

أما الإصغاء فيعني الميل الفعلي حين الاستماع بإمعان وصمت، وهو قد يعني حب ما يتم الاستماع إليه، وذلك من قوله تعالى : {وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ } الأنعام١١٣**؛وهو ميل قلوب الكافرين للمعصية وتكذيب الحق، ويقول سبحانه وتعالى: {إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ}** التحريم٤**؛ فعبارة (فقد صغت قلوبكما) تعني ميل القلب للطاعة بعد أن تابت وأنابت لربها.**

سادس عشر: الشك والريب.

قد يتبدى لغويا أن الشك هو الريب، لكن هناك فروقا دقيقة بينهما حتى إنك لتجد أحيانا أن الريب هو نتاج الإمعان في الشك، فالشك هو التردد والغموض وعدم الاستبيان، بينما الريب هو شك مصحوب باتهام وقلق النفس.

فعن الشك يقول تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلاَ أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } يونس١٠٤؛ ويقول تعالى: {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن

شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً } النساء١٥٧.

أما عن تطور الشك والقلق والتردد حتى إنه ليتبدى أن يكون اتهاما، وهو في هذه الحالة يمكن تسميته بالإطراب بين التردد في التصديق والاتهام بالكذب، فيقول تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ} فصلت٤٥؛ ويقول سبحانه وتعالى: {وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ} الشورى١٤.

أما عن الريب وحده كاتهام سواء أكان هذا الاتهام بالكذب أو غيره فيقول جل في علاه: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } البقرة٢؛ أي لا كذب فيه، ويقول تعالى: {إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ }التوبة٤٥؛ فهم يترددون بين الشك والاتهام كنتيجة لتكذيب القلوب لرسالة الإيمان وتنازع فطرتها مع التكذيب المسيطر عليها.

وقد يتصور أحدهم بأن الريب هو الشك خاصة إذا ما قرأ قوله تعالى: {رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ}

آل عمران٩، لكن عبارة (لاَّ رَيْبَ فِيهِ) تعني لا تكذيب فيه ولا كذب، فكما كانوا يتهمون الرسل في الدنيا بالكذب، ويكذبون بيوم الدين . وكلها اتهامات . فإنهم لن يستطيعوا ذلك في الآخرة، وهو غير الشك، فالريب لا يعني الشك به، لكن يعني بالأحرى التكذيب به.

سابع عشر: أجر كبير& أجر عظيم& أجر كريم& أجر غير ممنون& أجر حسن.

قد يكون هذا البند هو أصعب فروق المعاني، وهو العلامة الفارقة التي تؤكد عدم وجود ترادف بالقرءان، ولتبيان الفرق سنتناول آيات القرءان التي وردت لتبيان الفرق في الأجر بين الكبير والعظيم والكريم والحسن وغير الممنون، بل هناك أجر للعاملين وآخر للمؤمنين، وثالث للمصلحين، ورابع للمحسنين، وهناك أجر الدنيا وأجر الآخرة، وكل المطلوب من القارئ الكريم تدبر ما سندونه من آيات الذكر الحكيم، وسنبدأ بحول الله آملين من الله العون لتبيان الفرق فيما يلي:-

١. الأجر الكبير.

يقول تعالى في سورة الحديد: (آَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧).

٢. الأجر العظيم.

يقول تعالى بسورة آل عمران: (الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢).

ويقول سبحانه: (مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٩).

ويقول سبحانه بسورة الأنفال: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٨).

ويقول جل جلاله بسورة التوبة: { الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ

الْفَائِزُونَ{٢٠} يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ{٢١} خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً إِنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ{٢٢}.

ويقول جل في علاه بسورة التغابن: (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٥).

من جماع ما سبق يتأكد المسلم المتدبر للقرءان بأن الأجر العظيم لمن جعل زخارف الدنيا وفتنتها مطية لرضوان الله، والأجر الكبير لمن أنفق في سبيل الله طواعية بلا طلب من أحد نفقة جهاد وإعمار للكون.

٣. الأجر الكريم

يقول تعالى: {إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ} يس١١.

ويقول سبحانه بسورة الحديد: (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١١).

ويقول جل في علاه بالآية رقم ١٨ من ذات السورة: (إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ).

فالأجر الكريم لمن أدى الفرائض وكانت خشيته من الله هي الحاكم على سلوكياته، كذلك فإن الأجر الكريم يكون لمن أنفق على الفقراء (الصدقة) ومن أنفق حين يطلب منه الإنفاق.

٤. الأجر غير الممنون.

يقول تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ } فصلت٨.

ويقول سبحانه: {وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ } القلم٣.

ويقول ربنا تبارك وتعالى: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} الانشقاق٢٥.

ويقول جل في علاه: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ } التين٦.

فالأجر غير الممنون أي غير المنقوص ولا المقطوع، يعني مستمر، وهو أقل الأجور، والأجر غير الممنون يكون للمسلم العادي الذي يؤدي ما يطلب منه ويعمل صالحا في حدود بكل الأمور، والأجر الممنون يكون بالدنيا في غالب الأمر.

٥. الأجر الحسن.

يقول تعالى: {قَيِّماً لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً } الكهف٢.

ويقول تعالى بسورة الفتح: (قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦).

والأجر الحسن بالدنيا لمن أطاع ونجح في اختبارات الفتنة.

ثامن عشر: الفرق بين أهل وآل.

من بين ما تم الخلط فيه كلمتي (أهل ـ آل)، وإن استعرضنا ما بالقرءان من آيات عن كلاهما لعلمنا الفرق بيسر.

فعن تعبير(أهل البيت) يقول تعالى: {قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ رَحْمَتُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ } هود٧٣؛ ويقول تعالى: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً } الأحزاب٣٣.

بينمـا يقـول سـبحانه عـن كلمــة (آل) : {وَإِذْ نَجَّيْنَـاكُم مِّـنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ } البقرة٤٩.

ويقـول تعـالى: {وَقَالَ لَهُمْ نِبِيُّهُمْ إِنَّ آيَـةَ مُلْكِـهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيـهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلآئِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } البقرة٢٤٨.

ويقول سبحانه: {إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ } آل عمران٣٣.

ويقول جل جلاله: {إِلاَّ آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ } الحجر٥٩.

{يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً } مريم٦.

{يَعْمَلُونَ لَـهُ مَـا يَشَـاءُ مِـن مَّحَارِيـبَ وَتَمَاثِيـلَ وَجِفَـانٍ كَـالْجَوَابِ وَقُـدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ } سبأ١٣.

{فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّـهُمْ أُنَـاسٌ يَتَطَهَّرُونَ } النمل٥٦.

ولنـا أن نتسـاءل عـن الفـرق بـين آل البيـت وأهـل البيـت، فـآل البيت هم كل من انتسب للبيت، أو صاحب أهلـه وآمن بمـا آمن بـه أهل البيت، أو كان من أهلـه المؤمنين، فأنـت حين تُصلـي علـى محمد وعلـى آل محمد ﷺ إنما تُصلي علـى كل من عاصـر النبـي بإيمـان، سـواء أكـان

من أقاربه أم كان من غير أقاربه، ونجد ذلك جليًا في كتاب الله، حيث يقول تعالى:- {فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ } القصص٨؛ وقوله تعالى:- {... وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} يوسف٦؛ أي على كل من آمن بيعقوب.

أما كلمة أهل البيت فتعني أهل قرابة الشخص، وخاصة الرَّحم، وآية ذلك في قوله تعالى:- {قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ رَحْمَتُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ } هود٧٣؛ ويقول تعالى: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً } الأحزاب٣٣؛ يعني من اصطفاهم الله للنبوة فهم أهل بيت النبوة .

أما قوله تعالى:- {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ } النحل٤٣؛ فيعني أهل قرابة الذِّكر، وقوله (حكما من أهلها) يعني من أقاربها.

وقد تُذكر كلمة (أهل) للانتساب للمكان أو الشيء مثل: (أهل النار & أهل القرى & أهل الكتاب & أهل المدينة...) فحين يُذكر لفظ (أهل القرية) يعني الملتزمين بالقرية التزاما لا فكاك منه.

فالأهل هم النسب، والآل للأتباع في المعتقد وذلك في غالب ورود التعبيرين.

تاسع عشر: الفرق بين السَّنَة والعام.

من بين ما يتصوره الناس مترادفا كلمتي [السَّنَة والعام]، وقد أكدته التفاسير بعدم تمييزها بينهما، لكن باستقراء وتدبر القرءان نجد الفارق جلي، فمن بين الآيات ما جمع بين الكلمتين حيث يقول المولى عز وجل: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ } العنكبوت١٤؛ فالسُنَّة تطلق على أيام الشقاء أو حمل المسئولية مما يساوي إثني عشر شهرا، أما كلمة عام فتطلق على أيام الخير والسرور أو انعدام المسئولية مما يساوي إثني عشر شهرا أو الأيام عند الله فيما قبل الآخرة، فقوله تعالى(أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً) إنما تعني شقاء سيدنا نوح في قومه تسعمائة وخمسين

سنة، أما عبارة (إلا خمسين عاما) فتعني أيام لم يحياها سيدنا نوح فهي من الأيام التي عند الله وهي دوما خير، وذلك حال وجود الحياة الدنيا قبل دمارها عند قيام الساعة، وكلمة عام تطلق أيضا حين تنعدم المسئولية ويعيش الإنسان منطلقا لا يلوي على شيء.

كلمة (سَنَة).

ولنستعرض معا كلمة (سَنَة) بالقرءان، ثم نتبعها بكلمة عام، حيث يقول تعالى: {وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ } البقرة٩٦؛ فلأنهم مشركين تمر عليهم أيام حياتهم بالسنوات، لأنها تزيد في سيئاتهم.

ويقول جل شأنه: {قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ } المائدة٢٦. فلأنها محرمة عليهم لذلك احتسبت تلك المدة بالسنوات لأنها أيام شقاء.

ويقول سبحانه: {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ } الحج٤٧؛ ونكتفي بهذا القدر في التدليل على أن لفظ سنة يقترن معه الشقاء والتعب والكد.

كلمة (عام).

أما كلمة عام فنتخذ من آيات القرءان دليلا على معناها، حيث يقول تعالى: {أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىَ يُحْيِي هَذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } البقرة٢٥٩. فحين أماته الله صارت أيامه بالقبر أيام بلا مسئولية لذلك سميت المائة سنة بمائة عام

{إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلِّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِّيُوَاطِؤُواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ اللّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } التوبة٣٧. فهم حين انعدمت المسئولية عندهم ومارسوا الحياة على هواهم لذلك سميت تلك السنين بالأعوام.

{ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ } يوسف٤٩؛ وهو يعني ما ورد بالتفسير الميسر:[ثم يأتي من بعد هذه السنين المجدبة عام يغاث فيه الناس بالمطر، فيرفع الله تعالى عنهم الشدة، ويعصرون فيه الثمار من كثرة الخِصْب والنماء].

{وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ } لقمان١٤. فأيام الرضاعة أيام هناء وسرور بغير مسئولية لذلك الرضيع الذي يسعى أهله لخدمته.

ومن البدهي أن تجد التفاسير التي بين أيدينا ولم تمايز بين السَّنَة والعام، وما ذلك إلا لانتهاجهم نهج الترادف الذي يجب أن ينقضي على يد علمائنا الذين عليهم أن يقيموا تفسيرا للقرءان يتواكب مع عقول أهل اليوم..

عشرون: البيت والمسكن.

البيت غير المسكن، وللقرءان منهج ثابت فهو يذكر البيوت أحيانا معرفة بحرف التعريف (ألـ)، بينما لم ترد كلمة (مساكن) معرفة بحرف التعريف (ألـ) أبدا.

والبيت والبيوت يشغلها مالكيها، ولها حرمتها، لكن المسكن والمساكن قد لا يشغله مالكه أو مالكيها، والبيوت تطلق حين يكون شاغله لا يتمتع بالمودة مع باقي الأسرة، إذ يموت ذكر النحل بمجرد التلقيح ولا يدخل البيت، ويموت ذكر العنكبوت ولا يدخل البيت، وتكون الألفة والمودة بين النمل في مساكنه، بينما هي في البشر غير ذلك فيعبر لفظ البيت والمسكن عن المودة والأمن بين شاغليه.

والبيوت يقيمها مالكيها وشاغليها من مواد بناء معينة، فتجد النحل يقيم بيته من الشمع، والعنكبوت يقيمه من خيوط، والإنسان يقيمه من مواد البناء في عصره، أما المساكن فهي تكون بلا مواد، كمساكن النمل إذ ما هي إلا حفر بالأرض، أو أماكن مهجورة.

وتدبر ذلك كله في آيات كتاب ربنا سبحانه وتعالى، فعن حرمة البيوت يقول تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} البقرة١٨٩؛ ويقول تعالى: { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } البقرة١٨٩.

ويقول سبحانه عن كونها من مواد بناء: {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ } النحل٦٨؛ ويقول ربنا: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } العنكبوت٤١. بينما هي في المساكن شيء آخر حيث يقول تعالى: {رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ }إبراهيم٣٧؛ ويقول سبحانه: {وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُواْ الأَرْضَ فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً} الإسراء١٠٤.

وعن كونـها أمنا يقول تعالى: {وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ } البقرة١٢٥؛ ويقول سبحانه: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } التحريم١١؛ ويقول تعالى: {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَاراً } نوح٢٨.

وعن المساكن يقول تعالى:{وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ } إبراهيم٤٥؛ ويقول تعالى في شأن مودة وأمن ساكني المسكن: {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ } سبأ١٥؛ وعن كونـها أمنا للخلائق الأخرى يقول تعالى: {حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } النمل١٨.

وهكذا فالفروق بادية جلية، لمن أراد التدبر لكتاب الله الذي قال: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } يوسف٢. وقال سبحانه: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} الزخرف٣؛ فهل نعقل معاني اللغة العربية على أصولها القرءانية.

إحـــدى وعشـــرون:الذّنب والمعصـــية والســـيئة والخطيئة والإثم.

قد يكون من اللازم أن يتعرف المسلم على حقيقة معنى اللفظ القرءاني ليحدد هدف الشارع جل في علاه ويقف على مراد أوامر الله ونواهيه، وهو الأمر الذي يجب أن يكون محل عناية المتخصصين الذين منع أكثرهم إعمال الفكر لغير المتخصصين، بينما تفرغوا هم للنقل والاغتراف من جهد السابقين من قدماء المجتهدين دون تمحيص، كذا يجب أن يكون محل عناية كل من كان له حظ من التعلم.

والمقـال الماثـل صـورة حيـة تعبِّـر عـن مـدى فداحـة الخطـر الـذي يحيـق بأهـل الإسـلام نتيجـة عـدم وقـوفهم علـى المعنـى المـراد مـن جهـة، وتصـورهم وجـود تـرادف بـالقرءان مـن جهـة أخـرى، إذ لـم توفـق التفاسـير القديمـة التـي يقدسـها أهـل الإسـلام للوقـوف علـى

المعنـــى وتحديـــد هـــدف الشـــارع بوضـــوح لا لـــبس فيـــه، لـــذلك انتقيـــت هنـــا الفـــرق بـــين الذنب/المعصية/الســـيئة/الخطيئة/الإثم، بـــل وقمـــت بخطـــب ود كلمـــة يظُنّهـــا النـــاس والـــدعاة انهـــا مـــن الأخطـــاء ومـــا هـــي كذلك وهي كلمة (وزر أو أوزار).

أولا: الذنب والذنوب.

الذنب هو ما وقع عن عمد ممن أتى به، ويكون مكررا، فالمخالفات تبدأ بالسيئات والمعاصي ثم تتحول إلى ذنبٍ ثم إلى خطيئة باستمرار اقتراف الذنوب أو السيئات، وقد يبدأ العبد بالذنب أولا وذلك حين يكون كافرا، فعن العمد مثل قوله تعالى: {يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ } يوسف٢٩؛ ويقول تعالى: {فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا } الشمس١٤.

والذنب يحتاج إلى استغفار أو توبة، وذلك لقوله تعالى: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ } غافر٥٥؛ ويقول تعالى:{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ } محمد١٩؛ ويقول جل في علاه: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } آل عمران١٣٥.

وإن لم يستغفر عنه صاحبه فهو يوجب له العذاب لقوله تعالى: {فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقاً لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ}الملك١١؛ ويقول سبحانه:

{كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ } آل عمران١١؛ ويقول تعالى محذرا من عدم الاستغفار من الذنب: {أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاء أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ } الأعراف١٠٠.

ويمكن لك أن تطلب من غيرك أن يستغفر الله لك مع استغفارك أنت واعترافك بذنبك، وذلك لقوله تعالى: {قَالُواْ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ } يوسف٩٧.

والله يدعو الناس للاستغفار من الذنوب لقوله سبحانه: {قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ } إبراهيم١٠؛ والذنوب تبدأ من الكفر وهو أكبرها، ولا يحتسب للكافر حسنات، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم [ليس بعد الكفر ذنب]. ويقول تعالى في شأن عدم احتساب حسنات الكافر: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُوراً } الفرقان٢٣؛ لأن الله يجازيهم عنه في الدنيا، لذلك فهم يخاطبون يوم القيامة فيما ورد بقوله تعالى: {وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ} الأحقاف٢٠.

ثانيا: المعصية.

المعصية هي التي تكون عن غواية، أو عناد، أي ألا يتحمل إيمانك الصبر على الطاعة عند حدوث فتنة تعرض لك، أو حب مخالفة من يدعوك إلى الهدى استكبارا منك، أي مخالفة رسل الهداية، وقد بدأ أبينا آدم بالمعصية حين أغواه الشيطان، وفي ذلك يقول تعالى: {فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى } طه١٢١؛ ويقول ربنا في شأن استكبار البعض عن دعوة الحق: {فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً} المزمل١٦.

والمعصية تكون حين تخالف رسول يوجد أمامك يدعوك إلى الهدى، فيقول تعالى: { وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ } آل عمران١٥٢؛ ويقول سبحانه عن لسان نبي الله موسى مخاطبا أخيه هارون ومتعجبا: {أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي } طه٩٣؛ ويقول تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ } البقرة٩٣.

ثالثا: السيئة.

السيئات في أصلها هي صغار الذنوب، وقد تقع عن عمد أو غير عمد، لكنها تقع في غالب أمرها لجهالة مقترفها، ويغفرها الله بمجرد أن نجتنب الكبائر، أو نعمل الصالحات، لكن بعضها يحتاج لاستسماح من أضرتهم السيئة، وبعضها يحتاج لتوبة.

فعن محو ومغفرة السيئات بالحسنات، يقول تعالى: {إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لُّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} البقرة٢٧١؛ ويقول جل وعلا: {وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ } هود١١٤؛ ويقول سبحانه في شأن محو السيئات بمجرد عدم غشيان الكبائر: {إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً } النساء٣١.

أما بشأن احتياج بعض السيئات لتوبة فذلك من قوله تعالى: {وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَـئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً } النساء١٨؛ ويقول تعالى:{وَالَّذِينَ عَمِلُواْ السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِهَا وَآمَنُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ } الأعراف١٥٣؛ ويقول سبحانه:{وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ } الشورى٢٥؛ يعني وجوب العذاب لمن اعتاد اقتراف السيئات حتى الممات، وهو ما يعني أن السيئة انقلبت لتكون خطيئة وهو ما سيأتي بيانه ببند الخطيئة.

وعن عدم العمد في السيئة ثم المسارعة في التوبة كشرط من شروط توبة الله عن العبد يقول تعالى: {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَـئِكَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً} النساء١٧؛ ويقول تعالى: {وَإِذَا جَاءكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن

عَمِلَ مِنكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } الأنعام٥٤؛ ويقول جل شأنه: {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ } النحل١١٩.

رابعا: الخطيئة.

ورغما عن أن الأصل في السيئة أن تكون عن غير عمد، أو بمعنى أصح تكون بجهالة، فإن البعض يستمرون في اقتراف السيئات كنتيجة حتمية لتلك الجهالة، وهي نتاج إفسادهم لفطرتهم، وهي حينئذ تنقلب من مجرد سيئة لتصبح خطيئة، وهي التي توجب العذاب، لأن الإنسان يجب عليه أن يهتدي للحق بفطرته السليمة لكنه إن أفسد هذه الفطرة فإنه يستمر في السيئة التي تصبح في حقه خطيئة وتوجب له العذاب، لذلك يقول تعالى: {بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } البقرة٨١.

وقد يتصور أحدنا أن الآية تتحدث عن الكفر لذلك فالنتيجة هي الخلود بالنار، لكن هذا مفهوم مخالف للمرامي القرءانية، فإحاطة الخطيئة بالإنسان أي كونها أصبحت منهجا حياتيا له، لذلك فستربو سيئاته على حسناته وبذلك يكون من المخلدين بالنار، فالخلود بالنار لا يقتصر على الكفر فقط، لكن كل من لم يكسب بإيمانه خيرا فهو من المخلدين بالنار أيضا وذلك لقوله تعالى: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ

لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ } الأنعام١٥٨؛ لذلك يلحق أهل الخطايا الذين ربت سيئاتهم على حسناتهم بالكافرين في الخلود بالنار والعياذ بالله.

خامسا: الإثم.

الإثم هو خطأ عمدي أو غير عمدي تم التعارف على فساد من يرتاده، أو سبق التحذير من الوقوع فيه، والإثم هو الباطل أيضا، لذلك فإن من يأتيه يكون قد ارتكب خطيئة توجب التوبة.

يقول تعالى: {وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ } البقرة١٨٨.

ويقول سبحانه:{وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ} البقرة٢٠٦.

ويقول جل شأنه: {انظُرْ كَيفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الكَذِبَ وَكَفي بِهِ إِثْماً مُّبِيناً } النساء٥٠.

فالآثم بالإثم مجرم بطبعه، لا يرعوي، وقد احترف قلبه تلك الخطايا، لا يهمه إن وقع على الخطأ أم وقع الخطأ عليه، وعلى ذلك فليس لنا أن نتكلم عن توبته، لأنه لن يتوب.

تعليق خاص عن كلمة (وزر):

هناك من أهل التدين الشعبي من الذين يتصورون بأن كلمة (وزر) تعني نوع من الآثام أو الخطايا، وهو ما أراه غير ملائم، رغم ما

ورد عن ذلك ببعض التفاسير، لكن كلمة (وزر أو أوزار) تعني أحمال أو أثقال أو مهام لا يطيقها العبد، لذلك حين يقول تعالى:{وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ }الشرح٢، فإن ذلك لا يعني مغفرة ذنوب للنبي كما قال بذلك بن كثير في تفسيره، لكنها تعني بأن الله وضع عنك ما يثقلك من الهموم وساعدك في مسئولياتك، لذلك حين يقول تعالى:{قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ}طه٨٧؛ فإن كلمة (أوزارا) تعني (أحمالا).

وانظر إلى تفسير الماوردي وهو يأتي بكل ما قيل بشأن كلمة (وزر)، بحيث لا يقف القارئ على المعنى المراد، حيث ورد به ما يلي: [
{ ووَضَعْنا عنك وِزْرَكَ} فيه ثلاثة أقاويل :أحدها : وغفرنا لك ذنبك ، قاله مجاهد، وقال قتادة : كان للنبي ذنوب أثقلته فغفرها الله تعالى له . الثاني : وحططنا عنك ثقلك ، قاله السدي . وهي في قراءة ابن مسعود ، وحللنا عنك وِقرك .الثالث : وحفظناك قبل النبوة في الأربعين من الأدناس حتى نزل عليك الوحيُ وأنت مطهر من الأدناس .ويحتمل رابعاً : أي أسقطنا عنك تكليف ما لم تُطِقْه ، لأن الأنبياء وإن حملوا من أثقال النبوة على ما يعجز عنه غيرهم من الأمة فقد أعطوا من فضل القوة ما يستعينون به على ثقل النبوة ، فصار ما عجز عنه غيرهم ليس بمطاق .
{ الذي أنقَضَ ظَهْرَكَ } أي أثقل ظهرك ، قاله ابن زيد كما ينقض البعير من الحمل الثقيل حتى يصير نِقْضاً .

وفيه ثلاثة أوجه:أحدها: أثقل ظهره بالذنوب حتى غفرها .الثاني : أثقل ظهره بالرسالة حتى بلّغها .الثالث : أثقل ظهره بالنعم حتى شكرها] انتهى تفسير الماوردي في هذا الشأن.

الخلاصة: في عموم الأمر تجد بالآيات السابقة عن الأمر أن السوء يتم في غالبه بجهالة ثم تتم المسارعة بالتوبة، وهذا عكس واقعة الذنب الذي يكون عن عمد أو تكرار، وتقع السيئة دون أن تكون هناك رسل هداية تخاطب العبد، لذلك فهناك تباين بين المعصية والسيئة في ذلك الشأن، لأن قوام المعصية عدم العناية بالنصيحة المباشرة.

ويغفر الله بعض السيئات بمجرد أن تجتنب الكبائر أو تفعل الحسنات، بينما تحتاج الذنوب والمعاصي للتوبة والاستغفار حتما، والسيئة لا فتنة فيها، بينما المعصية قد تكون بمناسبة وقوع فتنة للعبد، والإثم إنما هو باطل يغشاه من يغشاه بعمد أو غير عمد لذا يحذر الوقوع فيه.

وبعد هذا العرض ننتحي جانبا لنعرج على ما جاء ببعض التفاسير من خلط للأمر لا يفي برائع البيان القرءاني، حيث يقول ابن كثير في تفسيره:[وقوله: { إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ [وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلا كَرِيمًا] (٢) } . أي: إذا اجتنبتم كبائر الآثام التي نهيتم عنها كفرنا عنكم صغائر الذنوب وأدخلناكم الجنة**]؛ فخلط ـ رحمه الله ـ بين السيئة والذنب والإثم، وهو ما يدفعنا لننادي بضرورة تفسير**

القرءان مرة أخرى كل خمسة عشر عاما ليستزيد أهل كل جيل بعلومهم، فالعلم دوما تراكمي، ويتبعه الإدراك.

إثني وعشرون: الفرق بين الوفاة والموت.

لعله من أبرز ما كثر فيه الخلط بتفاسيرنا القديمة عدم التفرقة بين الوفاة والموت، حيث ظنوهما انتهاء الحياة، وهو ما أصاب معاني ومرامي السياق القرءاني ببالغ الغبن في معرفة دلالات الآيات، وقد كان من نتاج عدم تلك التفرقة تخليطهم المعاني وبالتالي تصورهم وجود النسخ بآيات كتاب الله، وغير ذلك من الجنايات الفقهية، فالوفاة في غالب ورودها تعني التولي، لكنها قد تعني الموت، أما الموت فيعني انتهاء الحياة حتما.

يقول تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفي الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } الزمر٤٢؛ فتعني تلك الآية أن الله يتوفانا جميعا حين ننام كل يوم، فبالقطع لا تعني بأنه يميتنا كل يوم، لكنه ـ مع ذلك ـ قد يقضي على بعض الأنفس التي توفاها بالموت فلا تستيقظ، ويمكن أن نستدل أكثر على ذلك الطرح من قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } الأنعام٦٠؛ فلا يعني ذلك إلا انه الوفاة حال النوم، لأنه ذكر بعدها (ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ

مُّسَمًّى)، ثم بعد انتهاء ذلك الأجل إليه مرجعكم وذلك من قوله: (ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ).

نعم الله هو المميت، لكن ليست كل وفاة تكون موتا، فقوله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلاَ أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ وَلَـكِنْ أَعْبُدُ اللّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } يونس١٠٤؛ فعبارة [أَعْبُدُ اللّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ]، لا تعني الذي يميتكم. بل معناها يتولانا، كالذين يتولون تدوين أعمالنا، والذين يحرسوننا.

لكن قد ترد الكلمة بمعنى الموت لقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّي مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } غافر٦٧.

أما قوله تعالى: {فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ } محمد٢٧؛ فلا تعني الموت إنما تعني تولي الملائكة للمجرمين يوم القيامة يسوقونهم إلى جهنم على وجوههم صما وبكما وعميا، ولأسفي فإن بعض الدعاة والمفسرين إن لم يكن جلُّهُم يقول عن هذه الآية بأنها ساعة الوفاة، وما ذلك إلا لقصور مفهوم كلمة (يتوفي)، فالتوفي هنا يعني التولي، أي حين تتولى الملائكة أمر الذين كفروا فإنهم يضربون وجوههم وأدبارهم، إبان المحشر الخاص، فهناك محشر عام، وأيضا محشر خاص لكل من أهل الجنة وحدهم، وأهل النار بخصوصهم.

لكن إذا تصورنا تفسير الدُّعاة والمفسرين فإننا سنسأل عن دور الملائكة (السائق والشهيد) بالنسبة للصالحين، هل أغفله القرءان؟، لكن لنا أن نقول بأن الفرق في السوق للمحشر هو الإهانة التي يلقاها أهل الكفر، وفي لونهم الأزرق وفي كونهم عميانا وصما وبكما، بينما سيُحشر المتقون في محشر خاص، حيث يقول تعالى: {يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً} مريم٨٥؛ **بينما يقول عن الكافرين: {وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً}** مريم٨٦؛ **بما يعني بأن هناك حشرًا عامًا ثم حشرًا خاصًا لكل فئة.**

كما لابد أن نتبين الفرق بين الحشر وفدا للمتقين، والسوق وردا للكافرين، فالوفود يكون لها شرف في استقبالها، أما الورد فهم يقذفون ويذوقون سوء المعاملة.

وهناك آيات جمعت بين الوفاة والموت منها قوله تعالى: {قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ } السجدة١١؛ **فيتوفاكم تعني يتولاكم بالموت،**

والموت هو غياب عن الحياة إلى مكان يفصله عنا حائل يسمى البرزخ، فيقول تعالى: {لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ } المؤمنون١٠٠؛ **ويقول تعالى عن الموت: {كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ }** آل عمران١٨٥.

والقتل يعني الموت حتما والغياب عن دنيانا، وأحيانا....ومع ذلك فهناك من يُقتلون لكن يظلون أحياء كالشهداء، وذلك من قوله تعالى: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ } آل عمران١٦٩. **لكنها ليست حياة بدنيانا.**

ومما عجَّت به التفاسير، تجد عدم التفرقة بين الوفاة والموت أبدا، وإليك نموذج منها مقتبس من التفسير الميسر: {الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }النحل٣٢؛ الذين تقبض الملائكةُ أرواحَهم، وقلوبُهم طاهرة من الكفر، تقول الملائكة لهم: سلام عليكم، تحية خاصة لكم وسلامة من كل آفة، ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون من الإيمان بالله والانقياد لأمره. **فخلط التفسير بين حالة قبض النفس وبين تولي الملائكة أهل الجنة في الآخرة ليقودونهم إلى الجنة، بل وخلط ذلك التفسير بين الروح والنفس، فتصور بأن الروح هي التي تخرج وتعود إلى الله ولم يعرف بأنها النفس.**

لذلك لا يصح التصور بأن كلمة وفاة أنها تعني الموت دوما.

ثلاثة وعشرون: بين الذِّكر والتسبيح.

إن التّصور الفكري الإسلامي الوارد بكثير من مراجع الفقه والحديث، الذي دمج بين التّسبيح والذّكر في قراب واحد دون تفرقة بينهما، بعث في فكر الأمّة نسيجا من خليط لا يجوز دمجه ولا يجوز إخراجه للوصول لمعنى مستساغ للآيات، وهو ما تجده جليا بصفحات تلك المراجع.

فلقد فرَّق القرءان الكريم بين الذّكر والتّسبيح فقال تعالى على لسان نبيه موسى في سورة طه: (كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً{٣٣} وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً{٣٤}) وكل منهما في آية مستقلّة كما ترى.

كما قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً{٤١} وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً{٤٢}) الأحزاب . وكل منهما (الذّكر والتسبيح) في آية مستقلّة.

ولقد كان لنشوء فكر وثقافة دمج الذّكر والتسبيح في قراب واحد في تلك المراجع أثره السيئ على الأمّة، فحين أخذ الناس عن تلك المراجع عدم الفصل بين الذّكر وبين التّسبيح تأثّر مذاق وشكل الدين في حياة المجتمعات الإسلامية، وفقد النّاس طريقة الوصول إلى درجة الإحسان التي قال عنها النبي صلّى الله عليه وسلّم: (اعبد الله كأنك تراه

فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، وأذاق النّاس بعضهم بأس بعض، وظلّ الجميع يشكو من الجميع.

١. فالذّكر طريقة حياة وفقا لإرادة المعبود جلّ في علاه في كلّ وقت وحين، بينما التّسبيح هو حمد وتعظيم وتنزيه قولي لله ربّ العالمين في أوقات مخصوصة.

٢. والذّكر صورة تنظيمية لكل شئون الحياة، وليتأمّل المسلم قوله تعالى: {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فقنا عذاب النَّارِ }آل عمران١٩١ . أمّا التسبيح فهو صورة قوليه بألفاظ محددة.

٣. أمّا التسبيح (وهو أمر قولي) فهو يساعد على التدريب على ذكر الله، لكنّ ذكر الله أعمّ وأشمل وأعلى قدرا من التّسبيح، والذين دمجوا التسبيح في الذّكر والذّكر في التسبيح لم يتلمّسوا مراد الله من قوله تعالى: ({وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} الذاريات٥٦ . فتراهم وقد تصوّروا تسبيحاتهم أنها هي الذّكر المعنى بالقرءان في قوله تعالى:(....اذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ } الأنفال٤٥؛ أو قوله تعالى:(...اذْكُرُواْ آلاء اللّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } الأعراف٦٩؛ أو قوله تعالى: (وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ..... } المائدة٧....الخ، وترى النّاس تتعجّب من قوله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات:٥٦)، والتعجب يكون حين تصوروا وحصروا العبادة

على سجادة صلاة أو داخل مسجد ، فتصوروا الله يأمرهم بالانقطاع عن العمل وعن الحياة ،وما ذلك إلاّ من القصور الفكري عن معنى ذكر الله ومعنى العبادة ومعنى الإخلاص.

٤ . والذّكر صورة من صور الحياة الفكرية للقوالب البشرية المؤمنة إيمانا حقيقيا، وهو في ذات الوقت سموّ بالروح وهو صورة من صور الفعل والقول والصمت في كل أوقات الحياة، فالتّفكّر صورة من صور الذّكر لقوله تعالى: (......وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } آل عمران١٩١. أمّا التسبيح فهو صورة قوليه في أوقات محددة بعينها.

٥ . والتسبيح شأن تشترك فيه الخلائق كلها لقوله تعالى: {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً } الإسراء٤٤.

أمّا الذّكر فهو شأن خاص بالمؤمنين من البشريّة المكلّفة به على أسرها لأنه فريضة على المخيّرين حيث يقول تعالى: ({إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً* لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً } الأحزاب٧٢&٧٣.

فعلى ذلك فإنّ من طمس الحقائق دمج الذّكر مع التسبيح حتّى طفآ التسبيح وانطمس الذّكر، وتلك هي حقيقة كثير من الممارسين للتسبيح وهم يظنّون أنهم يذكرون الله، لذلك فلا عجب أن تراهم في كل محافل المعاصي والغلظة بينما هم يتصوّرون ويتشدّقون بأنهم الذّاكرين، وتراهم وقد أطفأ القصور الفكري جلاء حقيقة الذّكر عندهم فهم يتصوّرون أنهم من الذّاكرين الله كثيرا والذّاكرات لصلوات يؤدّونها في المساجد أو لتسبيحات وأوراد معينة في أوقات مخصوصة، وما ذلك إلاّ لانطماس المعنى الحقيقي لذكر الله في أفهامهم.

أمّا الذين لا يسبّحون ولا يذكرون الله إلاّ قليلا بينما هم يعملون ابتغاء رضي النّاس ،فهؤلاء أقرب إلى النفاق العملي منهم إلى الإيمان حيث يقول تعالى في شأن المنافقين: ({إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً } النساء١٤٢.

فالمسلم الذّاكر تجد له قلب ذاكر، وفكر ذاكر، وضمير شاكر، ونفس صابرة محتسبة، وهذا المسلم تنشأ له آلية التصدي للفتن وذلك بالامتناع عن الوقوع في المعاصي لوجود واعظا له في نفسه يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر،وحتى إن وقع في المعصية فإنك تراه وهو معذبا بسياط ضميره ذلك لأنه أوّاب مهما أذنب وذلك ما أورد الله في شأنه بأول سورة القيامة: (لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ{١} وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ

اللَّوَّامَةِ{٢}) وتجده وقد نشأت له خصيصة الصّبر مع الرضي على البلاء، ثم وفي مرحلة تالية تنشأ له خصيصة الحقيقة الإلهية لحبّ الله . ولا أعنى هنا حبّ الله إنما أعنى حقيقة حبّ الله . وهى إكسير لذّة المجتبين لهذه النّعمة الكبرى.

لذلك فمن حسن إسلام المرء التدرّب على الانشغال بالله في كل دروب حياته (وليس من خلال حضرة ذكر في وقت محدد ثم ينقضي الأمر) فهذا هو أوّل مراتب الذّكر، فالذّاكر الحق ينشغل بالله حال أن يأوي إلى فراش نومه متوجها إلى الله ، يجود بنفسه برضي إذا ما أمسكها الله حال نومه، ثم هو يتحرّى أن ينضبط ليقوم من نومه مع موعد صلاة الصبح في توقيت الفجر ليستيقظ ملبّيا نداء ربه ليصلّى إذا ما قدّر له مولاه الحياة، ثم يبدأ يومه وهو يضع رضي ربه نصب عينيه في كل قول أو فعل أو فكر حتى ينتهي يومه فيأوي إلى فراشه ....وهكذا؛ ثم هو يتعايش دوما مع الله ويستشعر قرب مولاه فيظل هذا القرب يدنوا رويدا رويدا حتّى يصبح العبد عبدا ربّانيا.

وإن الله حين قال جل في علاه: (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ * لمن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ } التكوير٢٨&٢٧؛ يعنى ذلك أنّ القرءان منهاج حياة وذلك هو الهدف، أمّا الوسيلة في أن يحيا العبد مستقيما على منوال القرءان فهي الترتيل والتّدبّر، ولكن للأسف الشديد فقد اتخذ الناس من الترتيل بلا تدبّر وبلا منهجية من تفعيل القرءان في واقع الحياة هدفا

لهم رغم أنه وسيلتهم للاستقامة بينما شريعتهم لم تكن أبدا غايتها القراءة كما يفعلون.

أمّا التسبيح فهو صورة صغرى من صور الذّكر فلا يمكن أن نتصوّر جرّاحا يقوم بعمله وهو يسبّح، إنما يمكن أن يكون ذاكرا لله إن قصد بعمله وجه الله، كما أنّ إبداعه في عمله يكون إبداعا واستغراقا في ذكر الله بما يعنى أنّ المسلم الذّاكر بعيد دوما عن الغفلة عن ذكر الله وقريب دوما من الله... وفي ذلك كنت دوما أقول لتلامذتي (تعامل مع الله الواحد الأحد يكفيك الله همّ كل أحد)، والمسلم الحق يسير على نهج تعظيم حبّ الله في نفسه اليوم عن يوم الأمس وسبيله في ذلك هو الذّكر بمعنى الحياة لله متفعلا قوله تعالى:. {قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } الأنعام١٦٢.

كما وأن الذّكر أحد أسباب حياة القلوب فإنّ أهل الكتاب لماّ قست قلوبهم عن ذكر الله ذمّهم الله في القرءان هذا فضلا عن أنه بيّن للمسلم أنّ الطريق إلى التقوى يمرّ عبر بوّابة الذّكر، وبيّن أنه لا يكفي المسلم أو المؤمن المخلص إسلام أو إيمان.... بل لا بد أن يخضع قلبه للخشوع الدائم عبر ذكر الله وفي ذلك قال تعالى في سورة الحديد(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ

فَاسِقُونَ{١٦} اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ{١٧}.

فالمتدبّر للآيتين السابقتين يجد أنه ما كان الله ليضع في سياق الآيتين موضوع إحياء الأرض بعد موتها إلاّ لأن الذّكر حياة للقلوب، وقد ذكر الله ذلك بعد أن أخجل المؤمن بضرورة أن يأتي الوقت الذي يخشع فيه لله مما دلّ أيضا على أنّ الإيمان ليس كافيا للوصول إلى درجة الخشوع بل أنّ على المرء أن يستدفع إيمانه إلى طريق الخشوع عبر ذكر الله الدائم الذي سردنا شكله وطريقته أنّه الحياة لله ،وتأمّل قوله تعالى (ألم يأن) الواردة في أوّل الآيتين لترى حقيقة تلطّف الله مع عبده في الطلب فلابد علينا جميعا أن نصيح (أفلا نستحي ..أفلا نستجيب لذكر الله)!!!.

فالذّكر هو الحقيقة الكبرى في كيان سعادة البشرية، فهو منبع ومنتهى السعادة في الدّارين للسالكين في رحابه، ولا يمكن بحال أن نقوم باختزاله في تسبيحات أو حضرات يقوم بها البعض وهم يتصوّرون أنّهم يذكرون الله كما أراد وكما بيّن في كتابه، فمتى كان الله غائبا عن المؤمن التّقى حتى يستجلب نفسه في حضرته، أو استحضاره لله ربّ العالمين في نفسه، فيسبّح الله ويذكر الله ويختزل ذكر الله المطلوب آناء الليل وأطراف النهار في حضرة تبدأ وتنقضي بعد ساعة أو سويعات.

فذكر الله المطلوب هو الذّكر الكثير ويكون من قيام ومن قعود وعلى جنب ويكون بالفكر وباللسان وبالجوارح وفي كل وقت وحين، ولا يكون للمرء ذلك إلاّ بتفعيل كتاب الله في كلّ مناحي الحياة، وبذلك نصل إلى درجة الإحسان التي نوّه عنها الحديث عن الصّادق الأمين صلّى الله عليه وسلّم (اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، رواه أحمد وابن أبي شيبة والنسائي.

ذكر الله الأولى بالرعاية.

قدّمنا أن الذّكر أعم وأشمل من التّسبيح وهو ما ورد بقوله تعالى :. (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً) (الأحزاب:٤١&٤٢)؛ فدلّ هذا على أن الذّكر غير التسبيح وإن كان من جنسه.

١. ولقد ذم الله أقواما" في كتابه لأنهم يذكرونه قليلا" فقال تعالى: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً) (النساء:١٤٢).

٢. ولقد نبأنا الله أن الشياطين تتنزل على خلقه إلا فئة واحدة بيّنها في سورة الشعراء حيث قال جل جلاله: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) (الشعراء:٢٢٧).

فنرى أيضا أن الله أكّد على ضرورة الذّكر الكثير في الآية السابقة حيث قال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً(الأحزاب:٤١).

٣. وليعلم المسلم أيضا أن الحكمة التي كان عليها رسول الله أنها هي أيضا من ذكر الله وأنه مطلوب الأخذ بها بقوه حيث يقول تعالى: (....... وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (البقرة:٢٣١).

ولقد أمرنا الله أن نذكر آلائه فقال: (وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) (الأعراف:٧٤) .

٤. وقد ذكر الله مهمة إبليس أنها الصد عن ذكر الله حيث قال تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) (المائدة:٩١)؛ فمهمة إبليس صد البشر عن ذكر لله، ومهمة البشر ذكر الله، ومن يترك الذكر يلتهمه شيطان البشر، وفي ذلك يقول الله {وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ}الزخرف٣٦ .

والآيات كثيرة تدل على تكرار التنبيه على ذكر الله الكثير حال القيام وحال القعود وعلى جنب وأن الله ما خلق الإنسان إلا لعبادته ،ثم إنك تجد آية أخرى يقول الله فيها: (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ*رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ) (النور:٣٧&٣٦).

* لقد تصّور الناس أن ذكر الله منفصل عن التجارة والبيع وأعمال الحياة بأسرها واتخذوا مناهج في التّسبيح والخلوة والعبادة ظنّا منهم أن منهاجهم هو الذّكر المعنى في القرءان ، لكن ذلك خطأ فادح فكما أن التّسبيح من ذكر الله كما نوهنا فإن الصلاة أيضا" من ذكر الله والتجارة إن قصد بها عمارة الأرض ورعاية من يسأل المسلم عنهم . سواء أكان تاجرا أم غير ذلك . من أبنائه وزوجاته وأقاربه فهي من ذكر الله (رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ) (النور:٣٧)؛ والكلمة الطيبة صدقه وهى من ذكر الله، فكل ذلك يكون من ذكر الله وفي ذلك يقول تعالى: (قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ*لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) (الأنعام:١٦٣).

فدل ذلك على أن الحياة والممات بكل ما فيها من صنوف التعامل هي لله رب العالمين وهى بالتالي تكون من ذكر الله حيث يقول

تعالى (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ) (الملك:٢).

فإحسان العمل له درجة، وذلك من قوله تعالى: (وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ) (الاحقاف:١٩).

وإحسان العمل من أهداف الحياة وهو من الذّكر وذلك من غزارة رحمة الله على عباده فلعلّ الراعي البسيط أو الذي لم ينل قسطا من العلم أو الثقافة له نصيب من ذكر الله بحسن سريرته رغم كونه لا يسبّح ولا يدعو بالمأثور كالمجتهدين من الأمّة.

ولقد اختص الله العمل بالمراقبة حيث يقول سبحانه: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (التوبة:١٠٥).
ويقول تعالى: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ) (فاطر:١٠).

فالعبد يلبس ثيابا" نظيفة كي يظهر بمظهر المسلم النّظيف وفي نيته أنه يلبسه نظيفا" لأن الله تعالى يحب التّوابين ويحب المتطهرين فهو بذلك ذاكر لله بلباسه، والذي يستحم أيضا" لله فهو ذاكر لله باستحمامه لأن الله يحب التّوابين ويحب المتطهرين، والذي يأكل ليتقوى ويصون نعمة الله في الصحة فهو ذاكر لله بأكله ....وهكذا.

وبهذا التناغم بين كل ما في الحياة من أعمال وأقوال وبين ذكر الله الذي يعنيه الله وبين معنى انه سبحانه وتعالى خلق الناس لتعبده فقط يكون الذكر الكثير هو الحياة بأسرها شهيقها وزفيرها، فلابد أن تنطبق تصرفات العبد الخارجية منها على مراد الله، وتنطبق إرادته الداخلية على ما يحبه الله فيكون بذلك ممن يذكرون الله قياما" وقعودا" وعلى جنوبهم، ويكون ممن عناهم المولى عز وجل بكلمة (إلا ليعبدون) فما ينفلت العبد أبدا" من طاعة الله حتى وإن ارتكب المعصية فإنه يعاجل بالتوبة فتتبدل سيئاته حسنات وتلكم هي العبودية الحقَّة وحقيقة الذكر.

أربعة وعشرون: بين الشّكر والحمد.

ولعلّ القارئ لا يدرك أنّ هناك فرق بين الشّكر والحمد، فالشّكر هو ذلك الخضوع القلبي والفكري الملازم للمسلم باستمرار إن هو استمرّ في الإحساس الدائم بنعم الله عليه، وقليل من النّاس من تجده على هذا الحال حيث يقول تعالى: ({....اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ } سبأ١٣.

والشكر تراه غالبا في صورة الحياة وقد اتخذ شكلا عمليا يتّسم به المسلم، أمّا الحمد فغالبا ما يكون باللسان وفي أوقات ظهور النعمة على العبد واستشعار العبد بها، وقد يبرز الفارق من خلال قوله تعالى: {.... أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ } لقمان١٤؛ فالشكر كما تبيّنه الآية نوع من أنواع الخضوع الدائم لله وللوالدين.

والشكر خصيصة من خصائص بني الإنس، لكن الحمد صورة يشترك فيها مع الإنسان كافة الخلائق حيث يقول تعالى: {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً } الإسراء٤٤.

ويقول تعالى: {وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ } الرعد١٣.

ولتبيان أن التسبيح يقترن بالحمد وأنه في أوقات محددة يقول تعالى: {فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاء اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى } طه١٣٠؛ ويقول تعالى: ({فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ } غافر٥٥؛ أما عن ارتباط الذّكر بالشكر يقول تعالى {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ } البقرة١٥٢.

وحيث أنه وكما أسلفنا أن الشكر حالة مستمرة في الحياة لاستشعار الشاكر بنعم الله دوما عليه لذلك فهو يرتبط بالذكر، وحيث أن الحمد حالة استنفار لمشاعر الشكر في أوقات محددة وبألفاظ يتم التلفظ بها باللسان فيكون مرتبطا بالتسبيح .

لذلك فإن عباد الله الشاكرين قليل، فأكثر الناس لا يشكرون لقوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ } غافر٦١ .

خمسة وعشرون: النبأ والخبر.

قد يتصور أحدنا بأن الخبر هو النبأ، بينما هما مختلفان، فعن كلمة النبأ يقول تعالى: {نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }الحجر٤٩؛ ويقول سبحانه بسورة النبأ:[عَمَّ يَتَسَاءلُونَ{١} عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ{٢}]؛

فالنبأ العظيم هو البعث والحساب، فهكذا يلاحظ القارئ انه إخبار بأمر يقع بالمستقبل، فتعريف النبأ بأنه الخبر أمر غير مقبول.

فالنبأ أمر يحمل في طياته أمور لم تحدث بعد، أو من المتوقع حدوثها حتما بالمستقبل القريب أو البعيد، وأحيانا قليلة يكون النبأ كشف لمستور، كقوله تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ }الشعراء٦٩؛ والنبأ دوما يكون بأمر صادق سواء أكان أمر سيحدث أم حدث فعلا، أما الخبر فهو في غالبه أمر وقع فعلا في الماضي القريب أو البعيد، وقد يصدق أو لا يصدق.

فيقول تعالى في شأن الخبر: {يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لاَّ تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }التوبة٩٤؛ فهذه الآية جمعت بين اللفظين (النبأ والخبر) لكن المتدبر يرى أن الخبر أمر وقع فعلا، وواقعة الإنباء هي كشف لما يريد أهل النفاق ستره، ويقول تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ } محمد٣١؛ فكلمة (أخباركم) تعني واقعكم.

ستة وعشرون: إذا وإن.

هما كلمتان أو على الأحرى أداتان نستخدمهما بلا ضابط نظرا لعدم تفرقتنا بينهما، لكن إن استقرأنا وتدبرنا كتاب ربنا لعلمنا الفرق،

ولتغيرت منظومة الدعوة إلى الله بناء على تلك المعرفة، فكلمة إذا ترد حين يكون الأمر محتم الوقوع بالمستقبل، أو يحدث غالبا في العادة، لكن كلمة إن تكون حين يكون الأمر بعيد المنال أو قد يقع أو لا يقع، وذلك وفقا للتطبيقات التالية، لكن يراعى أن كلمة إن غير إنَّ بتشديد حرف النون، وغير كلمة إنه، وكلمة إنّا، وسوف أستعرض مع القارئ بعض آيات القرءان لنتدبر تلك القاعدة.

أولا:التطبيقات لكلمة إذا.

يقول تعالى:

١. {كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ } البقرة١٨٠.

٢. {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ } البقرة١٨٦.

٣. {فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ } آل عمران٢٥.

٤. {إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ } النصر١.

ثانيا: التطبيقات لكلمة إن.

يقول تعالى:

١. {وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } البقرة٢٣.

٢. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ } الحجرات٦.

٣. {قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَداً } الجن٢٥.

٤. {فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً } المزمل١٧.

والأمثلة كثيرة جدا لكني أكتفي بتلك الأربعة لكل واحدة منهما لتبيان ووضوح الرؤية التي تفي بالتفرقة بين الكلمتين على النحو الذي أسلفنا.

سبعة وعشرون:الزوج والبعل والزوجة والمرأة.

لقد ضم فكرنا الموروث أن الزوج هو البعل، وأن زوجة فلان تعني امرأة فلان، لكن الأمر جد مختلف، فاستخدام القرءان الكريم لتلك

الكلمات يبين مدلولها واختلافها عن بعضها، فالزوج هو الرجل الذي يمارس الحياة الزوجية بكل متطلباتها، أما البعل فهو الرجل الذي لا طاقة له بما يمارسه الأزواج في شبابهم، أو ذلك الذي يمتنع عن فراش الزوجية بإرادته أو لعلة فيه.

وتعبير (زوجة فلان)، غير تعبير (امرأة فلان)، فلقد خط القرءان منهاجا للأمر، حيث يرد تعبير (زوجة فلان) حين يكون هناك انسجام في العقيدة بين الرجل وزوجه، وتحظى الزوجية بالسكينة والمودة والرحمة، أما تعبير (امرأة فلان)، فيعني اختلاف العقيدة، أو خلل بالعلاقة الزوجية نتيجة مرض أو عدم انسجام أسري أو سفر الزوج وما إلى ذلك، ولنتأمل سويا بعضا من نماذج من آيات كتاب الله التي تؤكد تلك الفوارق، وذلك فيما يلي ولنبدأ من جهة الزوج بكلمة (بعل) وكلمة (زوج):.

١. {قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ } هود٧٢.

٢. {وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلاَ جُنَاْحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً} النساء١٢٨.

٣. {خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِن بَعْدِ

خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ } الزمر ٦.

٤. **{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ }** المجادلة ١.

فمن يراجع الآيات السابقة عن تدبر لكلم (بعل)، يجد بالأولى عجز الزوج عن مهمة معاشرة الأنثى لكبر السن، وبالثانية توقفه عن المعاشرة بإرادته لكونه نشز أو أعرض عن زوجته، وبالآيتين الثالثة والرابعة عن كلمة (زوج) نجد الانسجام الطبيعي لواقعة الزواج بين الزوجين.

وإليكم البرهان الثاني بخصوص المرأة والزوجة، ولنبدأ بكلمة (زوجة).

١. **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً}** النساء ١.

٢. **{فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ }** الأنبياء ٩٠.

فيبين من واقع الكلمة بالسياق القرءاني، تعانق بين الزوجين لتحقيق هدف الشارع من الزواج وذلك من خلال وجود السكينة والمودة وإنجاب الأولاد مع قوامة الرجل.

أما بكلمة (امرأة فلان) نجد تغيرا في المرامي التي يرصدها الخطاب القرءاني، وهو ما يثبت من خلال السرد التالي:.

١ـ {إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} آل عمران٣٥.

٢. {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَاِمْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ} التحريم١٠.

٣. {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } التحريم١١.

فبالآية الأولى كان الزوج (عمران) لا يقوى على القوامة بحقها لكونه شيخا كبيرا أقعده المرض، لذلك سمي هو (بعلا)، وسميت زوجته (امرأة عمران) لذلك تجد امرأة عمران تقرر وحدها أن تنذر ما في بطنها لله، وحين وضعت تسمي ابنتها وحدها، حيث كان عمران قد توفي متأثرا بما كان فيه من مرض أقعده عن مباشرة الحياة، ويدلل سياق أمرها

وتحدث القرءان بقولها وحدها دون زوجها عدم وجود حقيقة القوامة داخل منزل الزوجية.

ولكفر النسوة مع صلاح الرجال كانت الآية رقم ٢ تصف هذا الأمر، لذلك سميتا (اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَاِمْرَأَةَ لُوطٍ) ولم يتم تسميتهما (زوجة نوح وزوجة لوط)، وبالآية الثالثة كانت المرأة هي المؤمنة وقد كانت زوج لكافر لذلك سميت (اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ)، وهكذا يكون السياق القرءاني يستخدم كل لفظ ويعنيه بمدلول محدد بلا ترادف.

ثمانية وعشرون: مرتين واثنتين وكرتين.

يقول تعالى: {قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ } غافر١١.

ويقول سبحانه وتعالى: {وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ } التوبة١٠١.

ويقول جل في علاه:{ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِأً وَهُوَ حَسِيرٌ } الملك٤.

وقد يكون من المناسب أن نشرح في نهاية الأمر (وخارج السياق) معنى قوله تعالى: {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى

وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ } الدخان٥٦؛ حتى لا يقولن قائل بأن القرءان يذكر موتتان في سورة غافر، بينما يختزلها لتكون موتة واحدة بسورة الدخان.

من السرد السابق لآيات كتاب الله نجد استخدام الله لكلمة مرتين وكلمة اثنتين ونظنهما بمعنى واحد، لكن الحقيقة أن لكل كلمة مدلولها اللغوي في المعنى المراد.

١. كلمة (مرتين).

المرة تعني شكل معين أو نسق محدد، فحين نقول (مرتين) فإنما نعني مرتين من ذات جنس أو شكل أو نمط الأمر السابق، ولا يكون في التكرار ملل أو تعب، ويكون بين المرتين فاصل زمني طال أو قصر، هذه هي عناصر تعريف كلمة (مرتين).

٢. كلمة (اثنتين)

تعني تكرار أمر معين مع اختلاف الظروف والملابسات والزمن، وقد تعني اختلاف الجنس في كل وحدة من وحدات ذلك الأمر.

٣. كلمة (كرتين).

تعني الإعادة مرتين في وقت واحد، ولا يجني صاحب الكرَّة إلا الفشل والتعب في كل كرَّه.

فبالبناء على ما تقدّم فإن الكرتين غير المرتين، وهما يختلفان عن كلمة اثنتين.

تسعة وعشرون: الفرق بين كلمتي (يمشي ويسير).

كلمة يمشي غير كلمة يسير، فالمشي يكون عموم الحركة على الأرض، أو لعله مشيا مجازيا ليس معناه قطع المسافات، لكن السير يكون لهدف محدد، وسوف ندلل بالآيات هذه المعاني فيما يلي:..

١. كلمة يمشي... يقول تعالى:

- {أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } الأنعام١٢٢.
- {وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} النور٤٥.
- {وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً } الفرقان٧.
- {أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } الملك٢٢.

فمن السياق السابق يتضح أن المشي يكون مطلق الحركة على كوكب الأرض بدون تحديد هدف للمشي، أو يكون مشيا مجازيا وليس حقيقيا.

٢. كلمة يسير....يقول تعالى:

- {هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنِّ مِنَ الشَّاكِرِينَ } يونس٢٢؛ فكلمة (يُسَيّرُكُم) تعني إلى أهدافكم.
- {أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ} غافر٢١.

فالسير لغرض النظر في عاقبة السابقين يكون في حد ذاته هدف، وهو الأمر الذي استخدم القرءان فيه كلمة (يسيروا) أكثر من مرة لكن نكتفي بالآية السابقة للتدليل على البيان.

ومن عجيب أنك تجد ما نقدسه من تفاسير القدماء ولا نرضى عنها بديلا ولا نجد في أنفسنا الكفاءة لتفسير عصري يقوم بالهدف الذي تفهمه أجيالنا ذات الفكر المتطور، تلك التفاسير تراها تخلط كالعادة بين

المشي والسير، أو تراها لا تعرف المجاز عن تعبير المشي في مناسبة عنها في موضع آخر، فتجد الزمخشري وهو يتصور المشي على هدى أي ـ وفق قوله ـ على الأرض المستوية، وما كتب ذلك إلا لأنه قد قام بتحييد المجاز في التعبير القرءاني فقام بالتفسير الحرفي، وهاكم ما ذكره في تفسيره:[معنى { يَمْشِى مُكِبّاً على وَجْهِهِ}؟ وكيف قابل { يَمْشِى سَوِيّاً عَلَى صراط مُّسْتَقِيمٍ } ؟ قلت : معناه : يمشي معتسفاً في مكان معتاد غير مستو فيه انخفاض وارتفاع، فيعثر كل ساعة فيخر على وجهه منكباً، فحاله نقيض حال من يمشي سوياً، أي : قائماً سالماً من العثور والخرور. أو مستوي الجهة قليل الانحراف خلاف المعتسف الذي ينحرف هكذا وهكذا على طريق مستو. ويجوز أن يراد الأعمى الذي لا يهتدي إلى الطريق فيعتسف، فلا يزال ينكب على وجهه، وأنه ليس كالرجل السوي الصحيح البصر الماشي في الطريق المهتدي له**]. انتهى كلام الزمخشري. ووافقه في ذلك البيضاوي في تفسيره، أما بن كثير فلم يتعرض أبدًا لتفسير كلمة (يمشي) بهذه الآية، فما رأي القارئ؟.**

ثلاثون:الفرق بين المس واللمس.

لقد ورد الكلمتان (المس واللمس) بالقرءان لذلك يحسن أن نستعرض كلاهما في بعض مواقعهما بالقرءان فإن ذلك مما ييسر استيعاب الفرق وذلك فيما يلي:.

*يقول تعالى في شأن المس:

١. {إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ } آل عمران١٢٠.

٢. {إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ } آل عمران١٤٠.

٣. {وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ } الأنعام١٧.

٤. {وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } يونس١٠٧.

٥. {وَالَّـذِينَ كَـذَّبُواْ بِآيَاتِنَـا يَمَسُّـهُمُ الْعَـذَابُ بِمَـا كَـانُواْ يَفْسُـقُونَ } الأنعام٤٩.

٦. {قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ } هود٤٨.

٧. {لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ } الحجر٤٨.

٨. {وَيُنَجِّـي اللَّـهُ الَّـذِينَ اتَّقَـوا بِمَفَـازَتِهِمْ لَا يَمَسُّـهُمُ السُّـوءُ وَلَا هُـمْ يَحْزَنُونَ } الزمر٦١.

٩. {الَّـذِينَ يَـأْكُلُونَ الرِّبَـا لاَ يَقُومُـونَ إِلاَّ كَمَـا يَقُـومُ الَّـذِي يَتَخَبَّطُـهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْـعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّـهِ فَانتَهَىَ فَلَـهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَـى اللّـهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّـارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} البقرة٢٧٥.

١٠. {لَّـوْلاَ كِتَـابٌ مِّـنَ اللّـهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَـا أَخَـذْتُمْ عَـذَابٌ عَظِيمٌ } الأنفال٦٨.

١١. {وَإِذَا مَـسَّ الإِنسَـانَ الضُّـرُّ دَعَانَـا لِجَنبِـهِ أَوْ قَاعِـداً أَوْ قَآئِماً فَلَمَّـا كَشَفْنَا عَنْـهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَـأَن لَّـمْ يَدْعُنَا إِلَـى ضُرٍّ مَّسَّـهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } يونس١٢.

فالمتدبر للآيات يجد أن المس يكون دوما ضرر في غالبه، أو تَحَدُّثا عن ضرر، ويكون معنويا دوما وقد يكون ماديا، ويكون بالدنيا أو الآخرة أو كليهما.

*ويقول سبحانه في شأن اللّمس.

١ـ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلاَ جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىَ تَغْتَسِلُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّن الْغَآئِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً } النساء٤٣.

٢. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مَّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} المائدة٦.

٣. {وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ} الأنعام٧.

٤. {وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاء فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً } الجن٨.

فالمتدبر يجد اللمس ماديا وهو بالدنيا فقط، وأيضا تجد تفاسيرنا وقد خلطت بين المس واللمس ولم تدلو بدلوها في الواقع المعنوي أو المادي للعذاب، ولا عما إذا كان الأمر ينصرف في تباين بين الدنيا والآخرة، مما يفقد القرءان حلاوته وحقيقة مراده ومقصده.

واحد وثلاثون: الفرق بين الخشية والخوف.

كثيرا ما نقول فلان يخشى من فلان، بمعنى أنه يخاف منه، وهذا خلط في فهم دلالات الكلمات، وبالقرءان تكون كل كلمة منهما لها دلالتها الخاصة، فالخشية تكون عن إرادة مختارة، لكن الخوف يكون عن قهر للإرادة، فالخشية هي ما كان عن يقين صادق بعظمة من نخشاه، أما الخوف فقد يكون عن تسلط بالقهر والإرهاب، وقد يكون ناجما عن ضعف الخائف حتى وإن كان يخاف مما لا يُخوِّف أحدا، فالخشية أعلى مرتبة من الخوف لأنها ثمرة اليقين وصدق الانفعال الناجم عن ذروة الإجلال لله.

وخشية الله منزلة رفيعا يختص بإدراكها فئة معينة من الناس هم العلماء وأولو العقول والألباب من المؤمنين والمتبعين للذكر وفي ذلك يقول تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ } فاطر٢٨.

والله سبحانه لا يبغي فينا الخوف لكنه يريد ان نخشاه، ويقول تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى } النازعات٢٦؛ لكن لا يمنع أن يخوف الله عباده أحيانا ليكون ذلك زجرة لهم، فيقول سبحانه وتعالى : {لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ } الزمر١٦.

وليس معنى ذلك ألا نخاف من الله، لكنه يجب أن يكون خوفا ممزوجا بالحب، والخوف من الله مقام الصالحين في بداية صلاحهم، وهو أول مراحل الوصول إلى درجة الخشية، لذلك فقد حمد الله الخائفين ووعدهم الأمن في الدنيا والجنة في الآخرة، فعن الدنيا يقول سبحانه: {وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ } إبراهيم١٤؛ وعن نعيم الآخرة للخائفين يقول تعالى بسورة النازعات: { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى{٤٠} فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى{٤١}.

اثنان وثلاثون: الحياء والخجل.

الخجل هو إحساس يشعر معه الفرد لو أنه انسحب أو لم يكن موجودا بالموقف الحادث، لكن الحياء هو طبيعة في الشخص تكمن في كونه لا يأت بأفعال بالمستقبل تسبب له أو للآخرين خجلا، بما خلاصته أن الخجل يكون في أمر حادث، لكن الحياء يكون من أمر لم يحدث وإن كان ممكنا حدوثه.

ولقد قال تعالى: {فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } القصص٢٥.

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا .... وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ......} الأحزاب٥٣.

وعلى ذلك فالحياء يكون في الطبع، والخجل يكون حادثا عرضيا وقت توافر ما يؤدي إليه.

ثلاثة وثلاثون: الرجاء والتمني.

لنتبين الفرق بينهما سأطرح أربعة أمثلة من القرءان فيما يلي:.

١. يقول تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّهِ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } البقرة٢١٨.

٢. ويقول سبحانه: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً} الإسراء٥٧.

٣. ويقول جلّ في علاه: {لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً } النساء١٢٣.

٤. ويقول الله عز وجل: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } الحج٥٢.

فالرجاء هو استهداف حصول أمر مشروع في خشوع، وتجد الذي يرجو شيئا يسعى لتحقيقه بكل السبل الشرعية الممكنة، لكن التمني قد يكون لأمر مشروع أو غير مشروع، وهو إرادة الحصول على أمر يحتاج إلى جهد، بينما قصّر جهد العبد أو عزيمته لينال ما يتمناه، وربما قد يبذل المتمني بعض الجهد للوصول إلى أمنيته بأية وسيلة حتى وإن كانت غير مشروعة.

وقد نهانا الله عن بعض التمني لكنه لم ينهانا عن الرجاء، فقال تعالى: {وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ

مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً } النساء٣٢؛ ويقول رسول الله ﷺ:(ليس الإيمان بالتمني).

أربعة وثلاثون: الاكتمال والتمام.

يقول تعالى: { .... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً .... } المائدة٣؛ فالكمال والاكتمال يكونا دوما في الظاهر، أما التمام فيكون بالباطن، لذلك تجد في مصر من يشبع أو يرتوي يقول [أنا كده تمام] ويشير إلى صدره أو بطنه، بما يعني أن التمام يكون بالداخل.

ويقول تعالى: {وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } يوسف٦.

ويقول سبحانه: {لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً } الفتح٢.

فعلم تأويل الأحاديث أمر حدث داخل نفس سيدنا يوسف وخارج وعيه، فهو لا يعلم كيف تعلم تأويل الأحاديث ولا بذل في ذلك جهدا، وبالآية الثانية كانت الهداية إلى الصراط المستقيم هي صورة إتمام

النعمة على سيدنا محمد وعلى كل من يحذو حذوه، والهداية أمر غير مرئي.

خمسة وثلاثون: الحسرة والندم.

بين الحسرة والندم بون شاسع، لكن يظن البعض بترادفهما، فالحسرة تكون على ما فاتك حالا وأنت تعاينه وهو يفوتك، ولا تتمكن من إدراكه، بينما الندم هو ما كان بينك وبينه أمد بعيد ولا تراه، ولا يمكنك اللحاق به أو استعادته.

ويمكن بيان الفرق من خلال نصوص كتاب الله فيما يلي:.

فبشأن الحسرة يقول تعالى:

{وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } مريم٣٩.

ويقول سبحانه بسورة الزمر: { وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ{٥٥} أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ{٥٦} أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ{٥٧} أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ{٥٨}.

ويقول جل في علاه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ اللّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } آل عمران١٥٦.

ويقول الرحمن الرحيم: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ } الأنفال٣٦.

أما بشأن الندم، فيقول تعالى:

{وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لاَفْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ } يونس٥٤.

{وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } سبأ٣٣.

وهكذا يتبين من السرد السابق أن الحسرة تكون بالدنيا أو ساعة الوفاة، أما الندامة فتكون يوم القيامة فقط.

وبالطبع لم تُفرّق التفاسير القديمة (التي يُقدّسها البعض ويعتبرونها سقف العلم والعلماء) بين الحسرة والندم، مما أفقد المعنى

القرءانـي حلاوتـه وطلاوتـه، ولـن أنقـل مقتطفـات ممـا هـو مـدون بتلـك التفاسير، فما ذكرته سلفا في بيانات متعددة فيه الكفاية، وعلى من يريد التحقق الرجوع للتفاسير في كل بند من البنود ليكون من الآكدين.

ستة وثلاثون: الفرق بين الروح والنفس.

إن الخلط بين الروح والنفس قد لازم الدعاة كثيرا، وتأزم الموقف أكثر فقالوا على من يحتضر أنـه تطلـع روحـه، وتـوارى معنـى النفس في مسألة طلوع الروح، وظنوا انـها تخص أمور الحياة فقط، وكثر الخلط بين الناس في هذا الأمر، لذلك يجدر التساؤل عن تمييز فاصل لكل منهما.

فـالنفس هي التـي تـدخل وتخـرج، وتطلـع وتنـزل وليست الـروح، فـالله يقـول بسـورة الفجـر عن من تُقبض نفسـه (ولـيس مـن تقـبض روحـه لأنــه لا يوجـد شــيء اسـمه قـبض الـروح): { يَـا أَيَّتُهَـا الـنَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّــةُ{٢٧} ارْجِعِــي إِلَــى رَبِّــكِ رَاضِـيَةً مَّرْضِـيَّةً{٢٨} فَـادْخُلِي فِـي عِبَادِي{٢٩} وَادْخُلِي جَنَّتِي{٣٠}؛ فالنفس هي التي ترجع وهـي التـي يتم قبضها وليست الروح.

ويقول تعالى: {اللَّـهُ يَتَوَفي الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِـي لَـمْ تَمُـتْ فِـي مَنَامِهَـا فَيُمْسِـكُ الَّتِـي قَضَـى عَلَيْهَـا الْمَـوْتَ وَيُرْسِـلُ الْأُخْـرَى إِلَـى أَجَـلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } الزمر٤٢؛ فمن يتـدبر يعلـم بـأن النفس هي التي تموت وتخرج وتعود وهكذا.

ودليل ثالث عن موت النفس، وليست الروح، حيث يقول تعالى: {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ الله كِتَاباً مُّؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ } آل عمران١٤٥؛ ودليل رابع حيث يقول سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } لقمان٣٤؛ فالنفس هي التي ترجع وهي التي تعود حين تستيقظ من نومك، وهي التي تموت، وهي التي تُقبض.

والنفس هي المختصة بكل الأعمال والأقوال والحركات الإرادية، وهي التي تسعدك في الدنيا والآخرة، وأيضا يمكن أن تكون سبب شقاء العبد، لذلك يقول تعالى بسورة الشمس: { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا{٧} فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا{٨} قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا{٩} وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا{١٠}.

أما الروح فهي تخص كل الأعمال غير الإرادية، مثل تشغيل التنفس وعضلة القلب، وعمل المعدة لهضم الطعام وغير ذلك، كذلك فإن الروح هي التي تحمل الصفات الوراثية للإنسان فتنتقل من جيل الآباء إلى جيل الأبناء.

وتفنى الروح بمجرد موت الإنسان وطلوع نفسه ومغادرتها الجسد، فالروح تابعة لإرادة ومصير النفس، فمن أرادت نفسه الانتحار، فإنه ينتحر بإرادة نفسه فتموت الروح، أما النفس فيعيدها الله بجسدك

عند البعث، وحينئذ تعود إليه روح أخرى غير تلك التي كانت لديه، ليحس الإنسان بالموجودات حوله، لكن إحساس الآخرة، والعمل غير الإرادي للأعضاء يختلف باختلاف تلك الروح الجديدة ذات الخصائص العالية، لذلك يقول تعالى في شأن البصر يوم القيامة: {لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ } ق٢٢؛ وسواء أكان البصر الذي تعنيه الآية إدراك المحسوسات، أو فهم الحقائق، إلا انه يدرك أكثر من إدراكه إبان حياته في الدنيا، لذلك يحس الكافرين بعذاب جهنم أكبر إحساس، أي أعلى بكثير من أحاسيس الدنيا، فالإحساس أحد وظائف الروح.

ولما كانت الروح تحمل الصفات الوراثية ومأمورة من الله بالوظائف غير الإرادية بالجسم، لذلك فهي من عالم الأمر، لذلك يقول تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً } الإسراء٨٥؛ أما النفس فهي من عالم الخلق.

وهكذا تجد أن التدين الشعبي هو المسيطر على أفكار وعقائد أكثر الناس، ولابد وتكون قد تحققت من أن جميع المرويات التي تقول بخروج الروح إنما هي من المدسوسات على رسول الله، ولعلّك تعاين الناس وهم يدينون بدين الآبائية فيما ذمّه الله حين ذكر مقولتهم التي يُعذّبون بها لأنهم مارسوها في حياتهم واقعا عمليا وعقائديا (هذا ما ألفينا عليه آباءنا)، وتجد تفسيراتنا التي قدسناها وقد خلطت بين الروح

والنفس، وما ذلك بخطأ المفسرين، فهم لم يحملونا لنُقدّس أفكارهم وأعمالهم، فقد اجتهدوا قدر طاقاتهم، لكن نحن الذين أصابنا جمود الفكر وحب النقل بلا عقل، لذلك أصبحنا كما ترى.

سبعة وثلاثون: الفرق بين الميْت والميّت.

قد يتصور أحدنا بأن كلمة الميْت (بسكون حرف الياء)، تعني ذات أمر لفظة الميت (بتشديد حرف الياء)، لكن حقيقة الأمر على خلاف ما يظن أهل عدم التعمق والتدبر، وعبر سياحة بكتاب الله سنتدبر ونقف على حقيقة المعنى المراد.

يقول تعالى: {أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } الأنعام١٢٢.

ويقول سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ } الحجرات١٢.

لكن تجد الأمر مختلفا حين ترد كلمة ميت بمعنى الموت، حيث يقول تعالى: {تُولِجُ اللَّيْلَ فِي الْنَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الَمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ } آل عمران٢٧.

ويقول تعالى: {يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ } إبراهيم١٧.

ويقول سبحانه وتعالى: {ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ } المؤمنون١٥.

فمن البيان السابق تجد أن الميت بتشديد حرف الياء تعني انتهاء الحياة فعلا، لكن الميت بسكون الياء يعني موت القلوب.

ولقد ذكر الله كلمة الميت بتشديد حرف الياء للدلالة على موتى الطيور والحيوانات، وما ذلك إلا لأنه لا نفس لها، إنما هي أرواح فقط بلا إرادة، فيقول تعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ..... } المائدة٣.

ويقول سبحانه: {وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَـذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاء سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حِكِيمٌ عَلِيمٌ } الأنعام١٣٩.

وهكذا يتم إطلاق كلمة ميْت على موتى الطيور والأنعام، ولأن الكافر قد طمسته نفسه الشيطانية عن رؤية الحق فهو ميْت وإن كان به نفس كان لابد لها أن تعي وتحيا حياةً حقيقية، لذلك لا تعجب أن شبه الله الكافرين بالأنعام بل أضل، حيث يقول تعالى: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا

وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ } الأعراف١٧٩.

ويعد فهل من شك بحاجتنا الماسة لتفسيرات عصرية لكتاب الله، وهل لا زالت مراجعنا القديمة موضع التقديس في نفوسنا، إن القدسية لا يجب إلا أن تكون لحرمات الله فقط، كالقرءان والكعبة وشعائر الله، والله تعالى يقول: {ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ } الحج٣٠؛ ويقول سبحانه: {ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ } الحج٣٢.

ثمانية وثلاثون: الفرق بين الموتى والأموات

لقد ورد اللفظين بكتاب الله، فورد لفظ أموات وأمواتا كل منهما ثلاث مرات، بينما ورد لفظ الموتى سبعة عشر مرة، ولكي ندلل على الفرق بينهما فيما ورد بكتاب الله، فإن كلمة الموتى إنما تعبر عن كل من فارق الدنيا سواء أكان مؤمنا أم كافرا، لكن كلمة أموات وردت لتعبر عن موت القلوب أو موت القوالب على الكفر، وسوف ندلل على ذلك بإيراد بعض الأمثلة فيما يلي:.

١. {وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِـي سَبيلِ اللّـهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ } البقرة١٥٤.

٢. {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِـي سَبِيلِ اللّـهِ أَمْوَاتـاً بَـلْ أَحْيَـاء عِنـدَ رَبِّـهِمْ يُرْزَقُونَ } آل عمران١٦٩.

٣. {أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَاء وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ } النحل٢١.

٤. {وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاء وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّـهَ يُسْمِعُ مَن يَشَـاءُ وَمَـا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ } فاطر٢٢.

٥. { أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتاً{٢٥} أَحْيَاء وَأَمْوَاتاً{٢٦} المرسلات.

فالشهداء لهم حياة القلوب وليس لهم حياة الأبدان والقوالب، وهم موتى على الإيمان، لذلك فلا يطلق عليهم لفظ أموات، وإن كانوا موتى، وتلاحظ بآية سورة فاطر تلك المقارنة التي عقدها الله بين الأحياء والأموات فإنهم لم يكونوا من أموات الأبدان والقوالب لكنهم موتى قلوب لكفرهم، لذلك تمت المقارنة بين الأحياء والأموات وسمى الله كفر قلوبهم بأنها قلوب مقبورة في داخل قبور كفرها.

أما الموتى فهم من غادروا الدنيا، سواء أغادروها على الإيمان أو الكفر.

تسعة وثلاثون: الفقير والمسكين.

مما فسد به الاستدلال . وللحق ليس بكل التفاسير بل ببعضها . الفرق بين الفقير والمسكين، فلقد مايز الله بين الفقراء والمساكين فذكر كل منهما على انفراد ليبين تفرد كل منهما بمعنى خاص، فتدبر قوله تعالى: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} التوبة٦٠ .

فالفقير هو الذي لا يملك ولا يجد، أما المسكين فهو الذي يملك ولا يجد، وتدبر قول ربنا تبارك وتعالى عن الفقير: {لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ } الحج٢٨؛ لكن بشأن المسكين يقول تعالى: {أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً } الكهف٧٩.

فتدبّر رحمك الله بآية سورة التوبة كيف قدّم الله الفقراء على المساكين في العطية، وتدبّر كيف وصف الفقراء بأنهم بؤساء بآية سورة الحج، وتدبر كيف ذكر المساكين بأنهم يملكون سفينة ومع هذا فهم مساكين لا يجدون الطعام، كل هذه فروق بين الفقير والمسكين، بما يعني أن الفقر حالة مزمنة تحتاج لحل دائم وسعي دائب لإزالته، لكن المسكين تكون حالته واحتياجه أمر عارض.

أربعين: الفرق بين الذّكر والقرءان والكتاب.

يحلو للفقهاء أن يُفسّروا الآية الكريمة: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } الحجر٩؛ على أن الذّكر هو مجمل آيات القرءان، وقد ورد هذا المعنى بتفسير الجلالين فذكر ما يلي:[. . (نزلنا الذكر) القرآن (وإنا له لحافظون) من التبديل والتحريف والزيادة والنقصان]، وذكر التفسير الميسر:[إنَّا نحن نزَّلنا القرآن على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وإنَّا

نتعهد بحفظه مِن أن يُزاد فيه أو يُنْقَص منه، أو يضيع منه شيء.]. **فهل لاحظت بأنهم خلطوا بين الذكر والقرءان واعتبروهما شيئا واحدا.**

إن على المسلم أن يعلم بأن الكتاب الذي أنزل على رسول الله به قرءان وبه ذكر وبه آيات هن أم الكتاب وبه الفرقان، وكل منهم له مهمة وله تمييز داخل دفتي الكتاب الذي بين أيدينا.

ولنبدأ أولا بالذِّكر فإن على المسلم أن يتدبر قول ربنا تبارك وتعالى: {ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ} ص١؛ **لوجد أن القرءان أمر والذّكر جزء متعلق بذلك الأمر، كذلك حين يقول تعالى: {وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ }** يس٦٩؛ **فدل هذا على ان الذّكر غير القرءان، وهو برهان ثان، ولقد سبق وفرقنا بين الذكر والتسبيح في البند الثالث والعشرين فيمكن الرجوع إليه ليكتمل البيان في ذهن القارئ.**

كما أن الكتاب غير القرءان، فالكتاب أشمل من القرءان وأعم، بما يعني أن القرءان والسبع المثاني جزء من الكتاب، والفرقان غير الكتاب، وكل ذلك أوضحه القرءان وقام عليه باحثون لكن توقفت عجلة فكر فقهاء عصرنا عند حدود فكر وعلم علماء القرن الثالث والرابع الهجريين، وسوف أجوب مع القارئ ببعض آيات كتاب الله التي تؤكد هذه الفروق، أما تفصيلاتها ودلالاتها فلن أمسه هنا لأن ذلك الأمر يحتاج شرحا مطولا قام به باحثون أمثال المفكر السوري/محمد شحرور في كتابه الكتاب والقرءان.

فمما يدل على أن الكتاب غير القرءان قوله تعالى: {الَر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ}الحجر١، وتدبر قول ربنا سبحانه بسورة الواقعة: { إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ{٧٧} فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ{٧٨}؛ ألا يدل ذلك أن القرءان جزء من الكتاب!؟.

وفي شأن إثبات الفرق بين السبع المثاني والقرءان وأنهما جزءين يحويهما الكتاب المنزل على سيدنا محمد، يقول تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ } الحجر٨٧؛ ألا يدل سياق الآية أن الله أعطى رسوله السبع المثاني وأعطاه القرءان وأنهما يتمايز بعضهما عن بعض؟!.

كما أن الفرقان غير الكتاب وغير القرءان وإن كان الكتاب يضم الجميع، لقوله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً }الفرقان١؛ وقد تم إنزال الفرقان على الأنبياء قبل نبينا محمد وذلك لقوله تعالى: {وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} البقرة٥٣؛ ويقول سبحانه: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاء وَذِكْراً لِّلْمُتَّقِينَ } الأنبياء٤٨؛ فمما سيق تجد أن الفرقان نزل على سيدنا مجمد كما نزل على موسى وهارون.

ويقول تعالى أيضا: { نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ{٣} مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ

....{٤} آل عمران؛ ألا يدل سياق القرءان في صراحة أن الله ينـزل الفرقان على كل الأنبياء وأنه شيء متميز عن التوراة والإنجيل والقرءان؟!.

وحتى لا أخوض فيما خاض فيه البعض واختلفوا في بيان ووظيفة القرءان والسبع المثاني والفرقان والكتاب، وما هي الآيات المسماة بأم الكتاب، حتى نميز بين آيات أم الكتاب وباقي الكتاب، فلقد قال تعالى: {هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ } آل عمران٧؛ ويا ترى ما هي الآيات المتشابهات التي حذرنا الله من اتباعها بغرض الفتنة وبغرض فرض عضلات التأويل بينما عقولنا قاصرة عن التمييز.

لذلك، وتنفيذا لكلمات الله في كتابه سأترك أمر التمييز بين آيات أم الكتاب وباقي الآيات، وتمييز المتشابه والمحكم من الآيات لتدبر كل مسلم واجتهاده الشخصي لذاته، فالتفاعل مع القرءان والتجاوب معه موكول إليك وليس قصرا على البعض بالإنابة عن الأمة حتى نصدقهم فيما جاءوا به من معاني الترادف، فهناك من قال بأن أم الكتاب هي الآيات التي جاءت في شأن الألوهية، بينما القرءان والسبع المثاني هي الآيات التي تحدثت في شأن الربوبية، لكن هذا مجرد اجتهاد يلزم صاحبه وما يهمني هو التمايز وعدم وجود ترادف وإثارة فكر المسلم

ليتدبر كل حرف بكتاب الله ولا يستسلم لما جاء به الأقدمون أو لما يلقيه بعض الفقهاء لنا من بعض علوم الأقدمين.

الفصل الثاني

نموذج من سلبيات ترادف المعاني

من بين ما انحرف به أمر الترادف هو ترادف المعاني وأعني بذلك أن يكون للكلمة أكثر من معنى، وللأسف قام الفكر الفقهي القديم بعناد الأمر ووضع لبعض الكلمات مفهوما واحدا لا يتزحزح، بل لقد اعتبروا مفهومهم الذي توقفوا عنده دينا لا يجب المساس به، ولست أعنى بهذا أنه لا يوجد في تراثنا الثقافي والفكري غير هذه الترّهات فلا شك أنّ فيه ما يحقّ لنا أن نفخر به ونقود الأمم كي يهتدوا إليه، ومن بين توقف الفكر عند معنى واحد للكلمة هو كلمة (أمي)،.

وأجـدني وقـد وقفـت علـى أسـباب كثيـرة كجـذور لهـذه الترّهات ،ومن بين ما وجدت أنه قد تم تشويه كبير لتراثنا الفكري والـديني حتـى حملـت الأمـة عيوبـا مـن التـراث غيـر المـدروس، وأجدني واقفاً أراهم يعظّمون رسول الله بالخيالات والخبالات، فمن ضمن تعظيم رسول الله بالخبالات أنهم عظّموه لأنه يجهل القراءة والكتابة، بل وتكاتفوا على آيات كتاب الله ليخضعوها حتى يصلوا إلى مبتغاهم في تعظيم رسول الله لكونه يمتلك الجهل الأبجدي، بل ووصل بعضهم إلى أبعد من ذلك حين قرر جهل الأبجدية لكل الأمّة العربية وقال ناسبا القول للرسول: (إنا أمه أميّه لا نكتب ولا نحسب الشهر كذا وكذا) (راجع فتح الباري ج٤ ص١٥١الحديث ١٩١٣) .

لقد تم نسبة ذلك الهراء للرسول في نشوة من السعادة والفخر، وإذا سألت بعضهم عن سر هذا الفخر بالجهل أجابوك على الفور بأن هذا الأمر فيه تعظيم لكتاب الله وتنزيه له عن أن يكون كتبه محمد أو غيره وأنه بهذا الاستنتاج . وفق زعمهم . يكون الكتاب من لدن الله، ولا أرى ذلك إلا من فرط الجهل بكتاب الله فلو أنهم علموا المكونات الإعجازية لكتاب الله ما تصوّروا الأبجدية ونظمها وحروفها مهما طالت واستطالت أنها شيئاً ذا بال بالنسبة لإعجاز أو محيط كتاب الله من حقيقة الحياة الدنيا وما فيها والحياة الآخرة وما بها، وهو البرهان على عدم بشرية

القرءان، فضلا عن التحدي القائم منذ نزول القرءان أن يأت أحد بسورة واحدة من مثله.

فهل كان محمد يعرف أن الشمس والقمر لهما دورة فلكية، وهل كان يعلم بأن البحر لا يختلط مع المحيط لأن بينهما برزخا فلا يبغي أحدهما على الآخر، وهل كان يعلم سر الأجنّة، وهل كان يعلم أن الأرض بيضاوية، وهل كان يعلم أن الكون يتسع، أو كان يعلم باختلاف بصمات أصابع البشر بعضهم عن بعض.......الخ، وكل ما سبق وغيره هي علوم سطّرها القرءان الذي أنزل على محمد، وإذا كان لا يعلم كل هذا، مع العلم بوروده في القرءان ، فكيف نصنع ترياقاً من الزيف ونزعم بجهله الأبجدي حتى لا يشك شاك في أنه هو الذي كتب القرءان ؟؟؟.

وكيف بهم يذكرون ذلك في الوقت الذي يتلون فيه كتاب الله يتحدى {وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }البقرة٢٣؛ ويقرؤون التحدي الثاني: {قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقرءان لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً }الإسراء٨٨.

وأنه إذا ما كان للأقدمين عذر في تأويل تلك الأميّة المدّعاه فليس للمتأخرين عذر بعد أن عاصروا كافة المخترعات

الحديثة التي جاءت لتبرهن على أن القرءان كتاب إعجاز بكل صنوفه وليس إعجازا لغويا فقط كما كان يراه الأقدمون، وما تلك المخترعات والمكتشفات إلا بعض آيات الله الكونية المؤيدة للإعجاز القرءاني بكل الدروب، لذلك يقول تعالى: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ }فصلت٥٣؛ فهل بعد أن أرانا الآيات الكونية المنشورة التي تؤكد الإعجاز القرءاني المسطور نقول بأمية الرسول حتى لا يشك شاك بأنه هو الذي كتب القرءان، إن هذا لعمري في القياس عظيم

الأسباب التي اعتمدها القائلون بجهل الرسول والرد عليها

إن الأسباب التي يعتمدها القائلون في زعمهم بجهل رسول الله بالأبجدية تنحصر في تأويلهم الخاطئ لبضع آيات من كتاب الله، وبعض المرويات التي يختالون بها بالباطل، وسوف يتم الرد عليها من خلال القرءان والسنّة الصحيحة والسيرة النبوية العطرة، فهم يطيب لهم أن يذكروا الآية في كتاب الله كبرهان لهم بعد أن يفسّروها وفق معتقدهم ثم يحملوا الناس على منهجهم وتأويلاتهم وهذه الآية هي :.

*(وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ *بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآياتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ) (العنكبوت:٤٨:٤٩) .

ويبدو أنهم ظنوا أن معنى كلمة " تتلو " أنها تعني تقرأ ، فالنص القرءاني في ذهنهم يعني (وما كنت تقرأ من قبله من كتاب) ..... وليس (وما كنت تتلوا من قبله من كتاب).

إن الله عز وجل حين قال " وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ " لا تعني أنه ما كان يقرأ ولا يكتب... إنما تعني أنه لم يعرف عنه قبلاً أنه كان صاحب نظر وتمتمات وترنيمات في الكتب السماوية السابقة التي كانت تحوى إعجازا في بعض أجزائها الميسّرة، وما كان يعكف على الكتابة فيها وإلاّ يرتاب المبطلون في أنه كتب القرءان، وذلك لفرط جهلهم بالقرءان ومدى إعجازه؛ فتدبر رحمك الله قوله تعالى " إذا لارتاب المبطلون " وهل أصبح المبطلون هم هدف الدعوة وهمّ الدّعاة الذين لا يعرفون ذودا عن القرءان إلا بأن يرموا رسولهم بالجهل؟؟.

وهل قال الله سبحانه [وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخط بيمينك] أم قال [ولا تخطه بيمينك]، فإن الله تعالى إن كان قال:[ولا تخط بيمينك] لكنا صادقنا على انه لا يعلم القراءة

والكتابة، لأنها ستعني أنه لا يخط أي خط بيمينه، لكن الأمر انصرف للكتاب فقط، ولم يعني العجز عن الكتابة.

كما وأنهم وجدوا ضالّتهم حينما انحرفوا بتأويل معنى كلمات وردت بحديث أورده البخاري في الجزء الأول من كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري .(باب بدء الوحي) . حين جاء الملك جبريل للرسول وقال له اقرأ فرد عليه (ما أنا بقارئ) فتصوروا كلمة(ما أنا بقارئ) أنها تعنى (لا أعرف القراءة البتة) ورغم أن هناك روايات وردت بلفظ (ماذا أقرأ) ورواية أخرى بلفظ (ما أقرأ) ورواية(كيف أقرأ) وكلها في كتب الصّحاح وليس في كتب أخرى ولكنهم اختاروا رواية (ما أنا بقارئ) لتتناسب مع مرادهم في جهل النبي.

إن على هؤلاء أن يفهموا أن للجملة معنى آخر غير معنى (لا أعرف القراءة) إذ أنها يمكن أن تعنى (لن أقرأ) ويمكن أن تعنى (ماذا أقرأ) وفي هاتين الحالتين يعنى الأمر أن رسولنا يعلم القراءة ولا يجهلها، والغريب أن هذا المعنى مذكور بذات المرجع السابق ولكن أصحاب الهوى يطيب لهم الهوى.

كما يمكن أن تعنى أيضا (لا أستطيع القراءة)(قد يكون من فرط الخوف وليس للجهل بها) وآية ذلك الخوف أنه حينما

رجع إلى زوجته خديجة بعد هذه الواقعة قال زملّونى زملّونى وكان يرتعد من الخوف.

وإذا ما اطّلع القارئ على كتاب لسان العرب لأدرك أن معنى كلمة الأمّى أنه هو الذي يقرأ ولا يكتب أو غير المحسن للكتابة بما يعنى أن الله حين أمر محمدا (اقرأ) فإن ذلك كان في استطاعته فلا يمكن أن نصرف ما ورد بالحديث (ما أنا بقارئ) إلى أنه يعنى عدم الإلمام بالقراءة.وإن كنت أختلف في تأويل الأمية المذكورة في كتاب الله عن العرب وعن محمد صلّى الله عليه وسلّم لأنها لا تعنى الأمية الأبجدية وهو ما سيرد بهذا المبحث في حينه.

كما أن الحديث له رواه آخرون غير البخاري رحمه الله ففي رواية أبى الأسود عن عروة أنه قال (كيف أقرأ) وفي رواية عبيد بن عمير عند بن إسحق (ماذا أقرأ) وكل ذلك يدل على أن إجابة رسول الله كانت استفهامية وإلا لو كانت نافيه ما قام جبريل بتكرار الأمر عليه ثلاث مرات كما جاء بالحديث . وكل ما سبق مذكور ومسطور بالمرجع المذكور فتح الباري ص ٣٢و٣٣ وهو الأمر الذي يعنى أن إجابة الرسول الأعظم بكلمة (ما) أنها كانت استفهامية ولم تكن نافيه وبما يعنى أن الإجابة تحتمل كل الوجوه (النفي ـ الاستفهام ـ الخوف).

ولكـي نصـل إلـى حقيقـة الأمـر فإنـه مـن الجـدير بالبيـان أن نعلـم أن آيـات كتـاب الله والأحاديـث الصـحيحة والمتـواترة متسـاندة يشـد بعضـها بعضـاً وليسـت متهادمـة ولا متناقضـة يهـدم بعضـها بعضـاً، ذلـك أن حقيقـة البحـث العلمـي والفقهـي توجـب علـى الباحـث النظـر فـي الأمـر مـن كـل جوانبـه ولابـد أن يعلـم الباحـث الفـرق بـين كلمـة (أتلـو أو تتلـو) وبـين كلمـة (اقـرأ) وبـين كلمـة (قـل) حتـى يسـتطيع التمييـز والتفسـير. فـإن الله عـز وجـل يقـول لرسـوله وللكافـة:{فَـإِذَا قَـرَأْتَ الْقـرءان فَاسْـتَعِذْ بِاللّـهِ مِـنَ الشَّـيْطَانِ الـرَّجِيمِ }النحل٩٨؛ وقولـه تعـالى: {وَإِذَا قَـرَأْتَ الْقـرءان جَعَلْنَـا بَيْنَـكَ وَبَـيْنَ الَّـذِينَ لاَ يُؤْمِنُـونَ بِـالآخِرَةِ حِجَابـاً مَّسْـتُوراً }الإسراء٤٥؛ {وَاتْـلُ مَـا أُوحِـيَ إِلَيْـكَ مِـن كِتَـابِ رَبِّـكَ لَا مُبَـدِّلَ لِكَلِمَاتِـهِ وَلَـن تَجِـدَ مِـن دُونِـهِ مُلْتَحَـداً }الكهف٢٧ ـ ومـع الوضـع فـي الاعتبـار الأمـر الأول . (اقـرأ باسـم ربـك الذي خلق).

نخلـص مـن سـطور الآيـات السـابقات أن رسـول الله كـان يقـرأ أحيانـاً وكـان يتلـو أحيانـاً، فـالتلاوة غيـر القـراءة وكـان أحيانـا يؤمر بالقراءة وأحيانا يؤمر بالتلاوة وأحيانا أخرى يؤمر ب (قل).

وهـم يسـتدلّون علـى جهـل الرسـول بـالقراءة والكتابـة بمـا تـم مـن لغـط بـين علـى بـن أبـى طالـب والمشـركين فـي تـدوين صـلح الحديبيـة مـن أن رسـول الله قـال لعلـى كـرّم الله وجهـه أيـن هـي يـا

علـى (يعنـى كلمـة رسـول الله التـي اعتـرض المشـركون علـى كتابتهـا) فمحاهـا بيـده الشـريفة بعـد أن بـيّن لـه علـىّ مكانهـا، والـرد علـى هذه الرواية(على فرض صحتها) يسير ويكمن في النقاط التالية:.

أ . أن محمـدا (ص) قـد يكـون يجلـس بعيـدا قلـيلا عـن جلسـة مـن يكتبـون فلمـا حضـر وعلـم سـبب الخـلاف قـال لعلـى (أيـن هـي) وهـذا الأمـر يفعلـه أيّ ممـن يعلمـون القـراءة طالمـا كـانوا علـى بعد ولو متر واحد ممن يكتب .

ب . أن محمـدا (ص) حـال هـذا الصـلح كـان يبلـغ مـن العمـر أكثـر مـن خمـس وخمسـون عامـا، والجميـع يعلـم أنـه مـن قبـل هـذه السـن يصـاب المـرء بطـول النظـر فـلا يـرى الكتابـة إلا بنظّـارة وهـو الأمـر الغيـر متـوفر علـى عهـد الرسـول صـلى الله عليـه وسـلّم مما يدعو النبي أن يسأل عن مكان الكلمة .

ج . أن مـن لا يعلـم القـراءة والكتابـة لا يمسـك القلـم بيـده ويقـوم هـو بمحـو مـا يـراد محـوه فلربمـا تطـيش يـده فتمحـو غيـره مـن الكلمـات، ولربمـا تـرتجّ يـده فينتشـر المـداد علـى بـاقي الورقـة التـي كـان وجودهـا شـحيحا بتلـك الأزمـان الأمـر الـذي يبـيّن أنـه (ص) كـان يعلم كيف يمسك بالقلم.

من جماع ما تقدم يتبيّن تهافت حجج القائلين بالجهل.

الحقائق من القرءان والسيرة عن علم الرسول بالكتابة والقراءة

١. المناقشة الفقهية للأمر من الواقع الإيماني بالقرءان والسيرة

وعودة إلى البحث عن الحقيقة حيث يقول الله تعالى "(لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) (البقرة:٢٨٦)

ويقول تعالى:ـ (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ{١} خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ{٢} اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ{٣} الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ{٤} عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ{٥}) (١-٥ العلق).

إن الآيات السابقات تعنى أن الله لا يكلف أحدا إلا بما في استطاعته، ويعنى أن الله لا يمكن أن يأمر رسوله بما ليس في إمكانه، بما يعنى أن رسول الله كان يعلم القراءة، فما يكون له أن يقول له اقرأ حتى ينتظر الجواب منه ما أنا بقارئ .

وعلى فرضيّة الزعم بالجهل بالقراءة فإن الله لو أمر أحدا من خلقه بالقراءة لقرأ حتى ولو لم يكن يعلم القراءة ،فكما علّم آدم الأسماء كلها وميّزه وفضّله على الملائكة كلها فهو يصنع الرّسل لنفسه وعلى عينه وبرعايته لرحمة العالمين، وحاشا لله أن يقول لجاهل بالقراءة اقرأ ثم يحتاج أن يكررها ثلاث مرات ثم يستمر الجاهل أو يظل على جهله، وإذا كان ربه هو الأكرم كما تنص بذلك الآية، ويعلّم الإنسان ما لم يعلم ، فهل يعلّم الإنسان ويترك رسوله لا يعرف القراءة ؟ بينما يأمره و يقول له اقرأ ؟؟؟ وما الفرق إذن بين من يريد أن يتهكم على محمد ممن يريد أن يعظّمه ويشرفه بالرسالة التي ورد في مهدها اقرأ.

وإن كان النبي لم يعلم القراءة قبل البعثة فقد علمها بمجرد أن أمره الله بإقرأ "وذلك لقوله تعالى (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (النحل:٤٠)؛ أم سنكون من المكذبين بهذه الآية، أم يرون قدرة الله في كل شيء يكون إلا رسوله.

وماذا عن الناس يوم القيامة حين يقول المولى عز وجل لهم: {اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفي بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً }الإسراء١٤؛ أسيقول الأميون نحن نجهل القراءة، أو يقولون ما أنا بقارئ حتى يستريح أصحاب التأويلات الخرفاء.

أو كانت أن الأمة كلها لا تعلم القراءة كما يزعم بعضهم في قولهم (إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب) وأين كل ذلك من صفة الله أنه الأكرم وأنه علّم بالقلم وأنه علّم الإنسان ما لم يعلم ؟؟؟ وهل يكون كذلك لكل البشر إلا لرسوله وللعرب؟.

ولماذا لم يكرمه ويكرّمه بأن يعلّمه القراءة والكتابة؟؟ ويا ترى هل سيأتي يوم نجد فيه من ينادي فينا بالالتزام بسنة الحبيب في الجهل بالقراءة والكتابة ويدعو إلى هجر المدارس الإبتدائيه؟؟لأنه صلّى الله عليه وسلّم التزم بجهله الأبجدي ولم يتعلّم !!!.

ثم ماذا يرى القائلون بالجهل بالأبجدية في الرّسول وهو يأمر أسراه في غزوة بدر أن يقوموا بتعليم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة كشرط لإطلاق سراحهم؟؟ أكان يترك نفسه نهباً للجهل والأمية الأبجدية ويصرّ على أن يستمر في عدم الإلمام بالقراءة والكتابة بينما يأمر المسلمين بالتعلّم ومحو الأميّة الأبجديّة !!!!.

وكيف تكون الأمّة لا تقرأ ولا تكتب بينما كتب السيرة تذكر أن الرسول أمر أسراه بتعليم المسلمين القراءة والكتابة، ألا يعنى ذلك أنهم متعلّمون للقراءة والكتابة وهل يستمر رسول الله في الالتزام بعدم الإلمام بالقراءة والكتابة بينما يأمر المسلمين

بتعلّمها ألا يكون بذلك المنهج مناقضاً لكتاب الله القائل " (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ) (البقرة:٤٤).

وهل يصح ذلك الفكر في حق الرسول الذي كان خلقه القرءان ؟.

ثم نظرة إلى ما أنزل على رسول الله في قوله تعالى(.....وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً}طه١١٤ . فمن حيث أن الرسول كان خُلُقُه القرءان ،فلابد أنه كان يسعى لأن يستزيد من العلم ويدعو الله أيضاً بدعاء (رب زدني علما)، وإن التكامل بين المنظومة القرءانية كمحرر مكتوب وبين المذكرة العملية كنبي معصوم مثالي في كل شيء تقتضي أنه حتى لو كان لا يعلم القراءة والكتابة فلابد أنه تعلّمها بمجرد أن أمره الله بكلمة (اقرأ)، وإلا فكيف بربك يأمر المسلمين بالسعي لطلب العلم من المهد إلى اللحد ثم يترك النبي نفسه نهبا لأمية أبجدية؟؟؟!!! .

وهل بالضرورة أن يكون الرسول أمّيا حتى لا يُتهم القرءان يأنه صناعة بشرية؟، إنه يمكن للرسول أن يأخذ هذا القرءان من أحد أصحابه الملمّين بالقراءة والكتابة وهنا هل يمكن الذود عن القرءان بجهل الرسول للكتابة؟؟ . ثم إن لصق الأمية الأبجدية بالرسول هل كانت تعني أنه أبكم ؟... إن بإمكان أي بدوى أن ينظم لغة لا يستطيعها أهل المحافل العلمية ببلدان

عربيــة كثيــرة، أم كــانوا يتصــوّرون أن رسـول الله كانــت تتنــزّل عليــه صحائف مكتوبة وهم ينزّهون الرسول عن شبهة كتابتها؟؟

وإلــى أصــحاب عقـدة الأميــة الأبجديــة، أهيـب بهـم أن يكونــوا أصــحاب عقــل ولا يكونــوا أصــحاب نقــل إلا حــين يكــون النقــل واجبــاً وصــحيحا؛ الحقيقــة أنــي أهيــب بالمسـلمين أن يكونــوا أصــحاب تفكّــر ولا يكونـــوا أصـــحاب فكـــر متحيّـــز، أهيـــب بهـــم أن يكونـــوا أصـــحاب عقيدة ولا يكونوا أصحاب عقدة.

٢. الأمية والأميين

ويتجــه فريـق مـن القــائلين بالجهـل إلـى الاسـتناد إلـى قولــه تعــالى " (الَّـذِينَ يَتَّبِعُـونَ الرَّسُـولَ النَّبِـيَّ الْأُمِّـيَّ الَّـذِي يَجِدُونَــهُ مَكْتُوبــاً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ ......) (الأعراف:١٥٧).

فهــم يسـتدلون بهـذه الآيــة علــي إثبــات الأميــة الأبجديــة للرســول العظــيم، وعلــى هــذا فــإني أدعــوهم إلــى النظــر وتــدبر قولــه تعــالى: {هُوَ الَّـذِي بَعَـثَ فِـي الْأُمِّيِّـينَ رَسُـولاً مِّـنْهُمْ يَتْلُـو عَلَـيْهِمْ آيَاتِـهِ وَيُـزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُــمُ الْكِتَــابَ وَالْحِكْمَــةَ وَإِن كَــانُوا مِــن قَبْــلُ لَفِــي ضَــلَالٍ مُّبِــينٍ }الجمعــة٢... فهــل يعنــى ذلــك جهــل كــل أهــل الجزيــرة العربيــة بالأبجديــة لأن الله وصــفهم بــالأميين؟؟؟.أم كمــا يقولــون أن أغلــب أهل مكة كانوا على جهل بالأبجدية ؟؟؟

وإن قوله تعالى عن اليهود يبين لنا وجها آخر عن معنى كلمة (الأميين) حيث يقول تعالى (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (آل عمران:٧٥).

فالأميين بالآية السابقة لا تعنى الأميّة في القراءة والكتابة، إذ لا يوجد تلازم بين الجهل بالأبجدية وبين أداء الأمانات إلى أهلها، بل تعنى أن اليهود كانوا يأكلون أموال العرب بدعوى أن العرب أميّون لا يعلمون حقيقة العلم بالله وليس لهم كتاب سماوي، إذ لا يوجد تقابل بين تعبير أهل الكتاب والأميين .

كما وأن تسميتهم بالأميين إنما ترجع إلى آراء عدّة، فما ورد في معناها نذكر منها :ـ أنها الأمية بالحقيقة الإلهية.

وقالوا (الأميين) لعدم نزول كتاب أو رسول فيهم.

وقالوا(الأميين) لجحودهم كتب الله وعدم إلمامهم بما فيها.

وقالوا (الأميين) لكونهم يقيمون بأم القرى؟

وقالوا (الأميين) لانتسابهم لإبراهيم عليه السلام الذي كان أمّة.

وقالوا أميين مشتقة من أمم....... الخ.

ولقد ورد في كتاب لسان العرب أن الأمي هو الذي يقرأ ولا يكتب فلماذا اختار أنصار الجهل وصرفوا معنى الأمية أنه الجهل بالقراءة والكتابة ؟؟؟ إن أحدا لم يصر بأن الأميين لابد وأن تعني أمية القراءة والكتابة إلا من علماء منابر الأمية فقط خاصة إذا ما كانت هناك آيات تنفي عن رسول الله الجهل بالأبجدية وهو ما سنورده في موضعه بهذا المبحث.

ولتبيان هذا الأمر فإن بالقرءان آيتين تدلان على أن الأمي في القرءان بمعنى الأمية عن الحقيقة الإلهية وليست الأمية الأبجدية، وأن هؤلاء الأميين يكتبون ويقرءون حيث يقول تعالى:(وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ{٧٨} فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ{٧٩}) البقرة

وإذا كانت كلمة أمي أو أميين تعنى الجهل بالقراءة والكتابة، فكيف يتصوّر المدافعون عن النقل بلا عقل بأن الله يتحدى هؤلاء الأميين الجهلاء بأن يأتوا بسوره من مثله ؟؟ أليس في قوله تعالى حين يتحدى الجهلاء أن يأتوا بمحرر مكتوب له نظم مثل نظم القرءان ؟؟؟حيث يقول تعالى :ـ(وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ

مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (البقرة:٢٣) . أليس في التحدي الذي يقيمه الله مع الجهلاء بالأبجدية أن يأتوا بمكتوب يكون فيه تصغيرا لمنطق الله في التحدي وألا يكون ذلك التحدي دليل على تفاهة القرءان أيضا???، أيتحدى الله الجهلاء؟!.

وإذا ما كنا دوماً نردد سبحان من كان أمره بين الكاف والنون، تأولاً لقوله تعالى " (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (النحل:٤٠).

فعلى ذلك فإن الله إذا قال للجاهل اقرأ فإنه يقرأ فورا لأن أمره بين الكاف والنون، وكيف بكم تصدّقون أن الذي عنده علم من الكتاب يستطيع أن يأتي بعرش بلقيس ملكة سبأ من اليمن إلى الشام ولا تتصورون أن الله علّم رسوله القراءة والكتابة فورا ؟؟؟ وذلك على فرضيّة أنه لم يكن يعلمها وهو الأمر الذي سيأتي في موضع آخر لإثبات كونه يعلم الأبجدية قراءة وكتابة قبل البعثة فضلاً عن سابقة بدء البعثة بكلمة اقرأ.

وانظر رحمك الله إلى قوله تعالى عن كافة البشر عالمهم وجاهلهم بالقراءة، حيث يقول تعالى : (وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً *اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً) (الاسراء: ١٣ &١٤) ... وعلى ذلك

فحين يقال لكل النّاس اقرأ كتابك فلن نجد يوم القيامة من يقول ما أنا بقارئ ؟ وسوف نرى الجميع يقرأ أعماله التي أحصيت عليه بصرف النظر عن كون بعضهم لم يتعلم القراءة والكتابة ذلك أنه بمجرد صدور الأمر اقرأ فإن الجميع سيقرأ بصرف النظر عن سابقة علمهم بالقراءة من عدمه.

وتدبر قوله تعالى:ـ(وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً) (النساء:١١٣).

فهذا يعني أن الله علّم رسوله الكتاب، وعلّمه الحكمة، وعلّمه ما لم يكن يعلم على الإطلاق، فلا يمكن لعاقل أن يقول وعلّمك ما لم تكن تعلم إلا علم القراءة والكتابة وإلا لكان من المعطّلين لآيات كتاب الله ومن المتأولين بغير علم.

وإذا كان الله تعالى يأمرنا بتدبّر القرءان وسمّى من لا يتدبر القرءان بأنه صاحب قفل على قلبه حيث يقول تعالى " (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقرءان أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (محمد:٢٤)

فتدبر قوله تعالى " (الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ) (العلق:٤) ـ وقوله تعالى "(....... وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً) (النساء:١١٣).

فـإن هـذه العلائـق والعلاقـات إذا مـا تـدبّرتها تكفيـك فـي الوقـوف علـى حقيقـة أن رسـول الله كـان يعلـم القـراءة والكتابـة، وإن كـان لـم يعلمهـا قبـل البعثـة فقـد علمهـا بمجـرد أن أمـره الله بـإقرأ "وذلـك لقولـه تعـالى (إِنَّمَـا قَوْلُنَـا لِشَـيْءٍ إِذَا أَرَدْنَـاهُ أَنْ نَقُـولَ لَـهُ كُـنْ فَيَكُونُ) (النحل:٤٠).

والقـرءان اسـمه القـرءان بمـا يعنـي أنـه مجمـوع ومضـموم بعضـه إلـى بعـض، وقيـل هـو الكتـاب المنـزّل علـى رسـوله محمـد، واسـمه مشـتق مـن القـراءة، فهـل ينـزّل الله علـى رسـوله كتابـاً أسـمه القـرءان ويتركـه لا يعـرف القـراءة ويـأمره (اقـرأ) وينتظـر منـه الجـواب (مـا أنـا بقـارئ) !!! ويقـرأ مـاذا ؟؟هـل نـزل رسـول الله جبريـل علـى محمـد بمكتـوب أم كـان يقـول لـه اقـرأ الهـواء ؟ أم كـان يـأمره بـإقرأ وهو يقصد (قل) .؟؟؟

وكيـف لا يتـدبر القـائلون بالجهـل قولـه تعـالى (فَـإِذَا قرءانـاهُ فَـاتَّبِعْ قرءانـهُ) (القيامة:١٨)؛ أي أتبـع قراءتـه . وكيـف بـالله ينـزّل علـى عبـده (الـرَّحْمَنُ *علّـم القـرءان) (الرحمن:١&٢)؛ فهـل يعلّمـه كـل علوم القرءان إلا علم القراءة فيه؟؟؟.

وإن الأمـر بـالقراءة (اقـرأ) لابـد وأن تعنـي محـرر مكتـوب، وهـو القـرءان (قالـه الشـنقيطى فـي تفسـيره) وقـد يكـون لتعلـيم الرسـول أنـه لابـد لـه حـين يقـرأ أن يقـرأ باسـم الله خاصـة وأنـه كـرر

عليه الأمر في قوله تعالى: " اقرأ وربك الأكرم "، فلابد أن يكون هناك إما محرر مكتوب أو هدف من ذلك الأمر غير إبراز جهل الرسول بالأبجدية.

ثم إن الأمر بالقراءة لم يكن أمرا بين محمدا عليه الصلاة والسلام وبين جبريل الأمين فقط، بل أن الله أمر رسوله أن يقرأ القرءان على الناس حيث قال تعالي (وَقرءاناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً) (الاسراء:١٠٦) ..... ويقول تعالى: (رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفاً مُّطَهَّرَةً{٢} فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ{٣}) سورة البينة.

والرسول كان مأموراً بتدوين ما ينزل عليه، ومأمور أيضاً أن يقرأه علي الناس، ومأمور بتلاوته، فقراءته علي الناس غير تلاوته، وهو غير قول ما فيه للناس.....أي يعرضه علي الناس بأن يقوم هو بقراءته علي الناس حتى يتعلموا أهميّة القراءة وأصول قراءته وحتى يؤمنوا به، فالرسول هو المعلّم لكل الناس مؤمنهم وكافرهم.... لا يعلّمهم علوم القرءان فقط..... إنما يعلّمهم قراءته أيضا ويستهدف أن يتعلّم جاهلهم القراءة لأهمّيتها.

والحقيقة أن قصور التفسير عند الأمة بدأت مع تأويل تفسير الأمر الأول (اقرأ) فاتخذته الأمّة على أنه معجزة نزول نص يُقرأ ويُكتب على نبي أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة،

ونسيت الأمة بفعل البعض المغزى الرئيسي من الأمر (اقرأ)، بل ونسيت أنها مخاطبه به وتصورت الأمر وحصرته في أمية رسول الله، ثم تعاظمت المصيبة مع عدم السماح بحرية التدبّر مع تقديس ما انتهى إليه تفكير المفسرين القدماء، ثم تقاطرت وتتابعت الأمة جيلاً بعد جيل ترث وهي لا تفكر بينما كتابها يخاطبها (أفلا تعقلون – أفلا يتفكرون – أفلا يتدبرون . وما يعقلها إلا العالمون .... الخ).

ثم وكيف يتصور أصحاب معنى الأمية أنها الجهل بمفردات الأبجدية قراءة وكتابة؟، كيف بهم يتصوّرون الله وهو يتحدى الجهّال من الأميين أن يأتوا بسورة من مثل القرءان ؟، فأين عظمة التحدي حين تتحدى أميين لا يعرفون القراءة والكتابة؟، وسوف أكرر هذا الأمر دوما حتى أجد عقلاء ينشرونه ولا ينهزمون أمام طغمة انحرفت بالتأويل ثم انفردت بنشر ثقافتها وفكرها بين الناس.

ثم وإنه من زاوية أخرى من زوايا النظر فإنه من المعلوم أن كل شيء في خزائن الله (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ) (الحجر:٢١) .

فاعلم رحمك الله أن علم القراءة أو غيره من العلوم إنما الأصل فيه أنه يأتيك ولا تأتيه أنت، وذلك وفق تيسير الله لك ووفق

جهـدك وذلـك لقولـه تعـالي (...... وَمَـا أُوتِيـتُمْ مِـنَ الْعِلْـمِ إِلَّا قَلِـيلاً) (الاسراء:٨٥) .

وقولـه (فَتَعَـالَى اللَّـهُ الْمَلِـكُ الْحَـقُّ وَلا تَعْجَـلْ بِـالْقرءان مِـنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَـى إِلَيْكَ وَحْيُـهُ وَقُـلْ رَبِّ زِدْنِـي عِلْمـاً) (طـه:١١٤) وذلـك مـع عـدم الإخـلال بفريضـة السـعي لطلـب العلـم. فهـل يأتيـك الله بعلـم القـراءة والكتابـة ويحـرم رسـوله مـن تعلمهـا؟؟؟ وهـل يتـرك رسـوله يقـول ويـدعو ربّ زدنـي علمـا فيعلّمـه كـل شـيء إلا القـراءة والكتابة؟؟؟

فهل بعد كل هذا التبيان نجد من يصمم على جهل رسول الله بالأبجديـة ؟، إن الـدعاة الـذين يكـررون معـاني الأميـة الأبجديـة للنبـي لا يحمـون الـدّين بادعـاءاتهم بـل يحمـون تـأويلات بعـض الفقهـاء القـدامى الـذين قـد يكـون لهـم عـذرهم، فلـم يكـن القرطبـي والطبـري وغيرهمـا فـي زمانهمـا وغيـره يعلمـون بتغيّـر الضـغط الجـوي إذا مـا طـار الإنسـان فـي أعـالي الهـواء مـع قلّـة فـي الأكسـجين الـلازم للتـنفس حيـث يقـول تعـالي (فَمَـنْ يُـرِدِ اللَّـهُ أَنْ يَهْدِيَـهُ يَشْـرَحْ صَـدْرَهُ لِلإِسْـلامِ وَمَـنْ يُـرِدْ أَنْ يُضِـلَّهُ يَجْعَـلْ صَـدْرَهُ ضَـيِّقاً حَرَجـاً كَأَنَّمَـا يَصَّـعَّدُ فِـي السَّـمَاءِ كَـذَلِكَ يَجْعَـلُ اللَّـهُ الـرِّجْسَ عَلَـى الَّـذِينَ لا يُؤْمِنُـونَ) (الأنعام:١٢٥) .

ولم يكونوا يعلمون الكثير من الأمور العلمية التي أصبحت عادية في زماننا (كالدورة الفلكية وغيرها) ولذلك فكانوا يرون أن النظم اللغوي للقرءان هو عين الإعجاز عندهم وكانوا يخشون من مقولة أن محمداً كتب القرءان بيده، وكان بعضهم قرأ تاريخاً مزيفاً عن جهل رسول الله بالأبجدية فتصوروا . وفق معطيات زمانهم . وظنّوا أن صيانة القرءان من مظنّة الكتابة البشرية تكمن فيما ذهبوا إليه من معاني .

ولكن اليوم وبعد أن منّ الله علينا من خزائن علمه، وآتانا منها وعلّمنا بعضا من الإعجاز العلمي والبياني والحسابي في القرءان، وأصبح لنا محدّثين وأساطين فيه، فلا يصح منا أن نتصور أن جهل رسول الله هو الذي يذود عن الظن في كتاب الله من أن رسول الله كتب القرءان بيده؛ إن معني هذا أن مجرد معرفة الرسول بالقراءة والكتابة قد يبقي ولو نسبة ضئيلة من الظن في إمكانية قيامه بكتابة القرءان، وهذا وغيره هو عين الهراء، وعين الجهل بمرامي وقيمة كتاب الله وكلماته التي نزّلها علي محمد صلي الله عليه وسلم واليك شرح سببً واحدً من ملايين الأسباب ونوجزه فيما يلي :-

وإن التصور الحصري في أن معجزة القرءان هي في منظومته اللغوية جعل بعض المخبولين من الولايات المتحدة

ينشـئ مـا أسـموه فـي أيامنـا هـذه (الفرقـان) يضـاهون بـه القـرءان وماذا كـم إلا لفـرط جهلهـم ولتفـريط المسـلمين فـي إعـلام العـالم بقيمـة كتـاب الله مـن كافـة جوانبـه ....هـذا إذا مـا كـانوا يعلمونها.

٣. الدليل على أن الرسول كان يعلم القراءة والكتابة

أولا:. من القرءان.

إن رسـول الله ولـد وعـاش فـي مكـة، وأهلهـا هـم أعلـم النـاس بمـا يعلمـه وبمـا لا يعلمـه فـانظر رحمـك الله إلـي قـولهم فيمـا جـاء بكتـاب الله عـنهم وصـفا لرسـول الله الـذي عرفـوه تمـام المعرفـة.(وَقَـالُوا أَسَـاطِيرُ الْأَوَّلِـينَ اكْتَتَبَهَـا فَهِـيَ تُمْلَـى عَلَيْـهِ بُكْـرَةً وَأَصِيلاً) (الفرقان:٥) .

فكلمة اكتتبها تعني في اللغة (اشترك في كتابتها وقيل استملاه وقيل تكرر منه الكتابة) فلو كان مشركوا مكة يعلمون بجهله الأبجدية، أو أن القرءان كـان شـفوياً فـي صـدر رسـول الله وصحابته الأجـلاء كمـا يزعم البعض ما كان قول المشركين (اكتتبها) له محل من الواقـع ، لكن الآية تعني أن رسول الله كان يعلم الكتابة عموماً ثم قام أحد أهل الكتاب بتعليمه كتابة أساطيرهم وذلك بطريقة الإملاء. فهل يقولون ذلك علي من عـاش بيـنهم جـاهلاً؟، و هـل يقولـون ذلـك وهـم يعلمـون بجهلـه

بالأبجدية؟؟؟؟؟ وهل يقولون بأن هناك من يملي عليه هذه الأساطير، وكيف كان يملي عليه وهو جاهل ؟ إن الذي يكتب لابد أن يكون عالماً بالقراءة ، والذي يملي عليه هو أعلي درجة ممن يعرف الكتابة لأنه يكتب كل ما يملي عليه بما يدل علي مهارته ،ولا يمكن لأساطين الكفر بمكّة وهم يخاطبون رعاياهم إلا أن يقولوا الحق عمن عاش بينهم ولو قالوا غير الحق لانفض الناس من حولهم وذهبوا إلى محمد ليؤمنوا به ،وهو ما يخشاه الأساطين من المشركين.

ثانيا:ــ واقعية التشريع والتنزيل والرسالة فيما يخص القراءة والكتابة.

إن القرءان لم يكن بحال كتاب دين يلجأ إليه الناس وقت الشدّة وفي الجنائز والأفراح والأمراض وهكذا مما نراه في أيامنا هذه ، إنما هو كتاب دين يهدف لرقيّ البشرية، وطريقة للحياة والإعداد لما بعد الحياة، وهو كتاب واقعي ينير الطريق لصلاح المؤمنين بمفرداته كلّها، ومن غير المقبول أن نسمع أن الرسول كان خلقه القرءان ثم ننتهي إلى انعدام الواقعية والتطبيق القرءاني في حياة أعظم الخلق وخاتم النبيين وإلا كنا من المخبولين فكريا.

إن الله أنزل أول ما أنزل على رسوله الأمر الإلهي (اقرأ)...... وأنزل عليه فيما أنزل (وقل رب زدني علما)

.......وبيّن له فيما أوحى إليه (ن*والقلم وما يسطرون......) فبيّن له فضل القراءة والعلم، وما كان لرسول الله الذي كانت معجزته القرءان الذي هو معجزه عقلية وعلمية ولغوية وحضارية وأدبية وليس معجزة لغوية فقط أن يتخلّف عن ركب تغذية العقل أو العلم.

وقد كان رسول الله يطبّق تطبيقا عمليا وواعيا كل ما يتنزّل عليه من حروف القرءان وكلماته ويربطها مع بعضها ويأمر بها أصحابه، وكان للقلم وللقراءة الدور الأعظم في واقعية نشر العلم ونشر الدين ونشر القرءان ، وقد كان الرسول يدرك ذلك الأمر ،وكان صاحب التطبيق الواعي لكتاب الله فكان يقرأ لأن الله أمره بالقراءة ، وكان يطلب العلم دوما لأن الله أمره بالاستزادة من العلم ، وكان يعلم أهمية القلم في نشر العلم فكان يكتب.

والقرءان نزل في أهل بلاغة يفد إليهم الناس من أقطار الأرض لأداء فريضة الحج وفقا لشريعة إبراهيم، ومن البديهي أن تكون مكّة وهى مقصد الناس من كافة الأقطار أن يستزيد أهلها من ثقافات وعلوم البشرية على اختلاف أقطارها.

وكانت رحلة الشتاء والصيف للتجارة تنمّ عن حاجة أهل الشمال والجنوب لبضائع أهل مكة ،كما تنم عن مطالب أهل مكة من بضائع الشمال والجنوب وعلى مقدرة أهل مكة في الترحال

للتجـارة، وبالتـالي فقـد كـان أهـل مكّـة فـي رغـد مـن عـيش ، فـلا يستسـاغ أن يكـون نبـي الله المرسـل للنـاس جميعـا هـو أفقـرهم وأجهلهم رغم ما أنـزل عليـه مـن الأمر(اقـرأ) و(وقـل رب زدنـي علمـا) ثـم بعـد ذلـك نجـد مـن يتشـدّق بجهلـه الأبجـدي وكـأن المعجـزات شحيحة لا ينقصها إلا جهل الرسول حتى تكتمل .

إن واقعيـة المـنهج القرءانـي وواقعيـة التشـريع وواقعيـة التنزيـل ، فضـلا عـن نـاموس الله فـي أنبيائـه أنهـم كـانوا اليـد الأعلـى دومـا علـى أقـوامهم، وهـو مـا يؤكـد أن القـرءان لـم ينـزل علـى جاهـل لأن الله يؤهّـل أنبيائـه بمـا يـدعّم طبيعـة الرسـالة وطبيعـة مـن يبعـث فـيهم ......فالطـب والمعرفـة بخبايـا المـال كانـت طبيعـة مـن معجـزات عيسـى عليـه السـلام حـين أرسـله الله إلـى قـوم اشـتد بهـم مـرض العمـى منـذ الـولادة والبـرص، وكـانوا أشـحّاء فيمـا بيـنهم ،فكشـف غنـى الغنـيّ فـيهم ومـا يـدّخره مـن طعـام فـي بيتـه وداوى مرضـاهم. ......وكـان السـحر طبيعـة أهـل مصـر الـذين نـزل فـيهم موسـى فـزوّده الله بمـا يفتـك بالسـحر ويجعلـه صـاحب الكلمـة العليـا بيـنهم ،ولـم نسـمع عـن أحـد سـرق منـه العصـي حتـى يحرمـه مـن القـوّه السـحرية التـي معـه ....والـدروع كانـت خصيصـة داوود علـى قومـه المقـاتلين فعلّمـه صـناعة الـدّروع.......والقراءة والعلـم خصيصـة محمـد علـى قومـه مـن الشـعراء والبلغـاء الـذين كـانوا

يقرضون الشعر ارتجالا وكانوا يتبارون باللغة العربية وله سوق تسمّى عكاظ يتبارون فيها بمنتجاتهم الأدبية،وكانت لهم معلّقات ينظمونها ويعلّقونها افتخارا بإنتاجهم اللغوي ، فلم يكن القرءان ولا رسول القرءان غرباء عن موطن الرسول وطبيعة هذا الموطن وما يحمله من بلاغة أساسها القراءة والكتابة والعلم ولم يكونوا أميين بالأبجدية أبدا.

ثالثا:. من السنّة الصحيحة.

لقد تعددت الروايات الصحيحة التي تؤكد إحاطة وعلم الرسول بالكتابة والقراءة ولقد اخترنا منها بعض ما رواه الشيخان /البخاري ومسلم رحمهما الله وذلك فيما يلى :.

١ــ عن بن عباس قال (يوم الخميس وما يوم الخميس اشتد برسول الله (ص) وجعه فقال ائتوني أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا .... الخ الحديث) حديث رقم ٤٠٧٨ صحيح البخاري كتاب المغازى .

٢ـ عن بن عباس رضي الله عنهما قال (لما حضر رسول الله (ص) وفي البيت رجال وقال النبي (ص) هلموا أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا فقال بعضهم

إن رسـول الله قـد غلبـه الوجـع وعنـدكم القـرءان حسـبنا كتـاب الله فـاختلف أهـل البيـت واختصـموا ....الـخ الحـديث – يقـول بـن عبـاس أن الرزيـة كـل الرزيـة مـا حـال بـين رسـول الله (ص) وبـين أن يكتـب لهـم ذلـك الكتـاب لاخـتلافهم ولغطهـم) حـديث رقـم ٤٠٧٩ صحيح البخاري كتاب المغازى

٣ـ عـن بـن عبـاس أنـه قـال (اشـتد برسـول الله (ص) وجعـه فقـال آئتـونى أكتـب لكـم كتابـا لـن تضـلوا بعـدى أبـدا فتنـازعوه ومـا ينبغـي عنـد نبـي تنـازع .... الـخ الحـديث) حـديثا رقـم ٣٠٨٩ صـحيح مسـلم كتـاب الوصية

٤ـ عـن بـن عبـاس أنـه قـال (قـال رسـول الله (ص) إئتـونى بـالكتف والـدواة أو اللـوح والـدواة أكتـب لكـم كتابـا ....الـخ الحـديث) حـديث رقـم ٣٠٩٠ صـحيح مسـلم كتـاب الوصـية. وورد ذات المعنـى بالحـديث رقـم ٣٠٩١ صـحيح مسـلم – كتـاب الوصية أيضا.

مـن جمـاع الروايـات السـابقة يثبـت أن الرسـول كـان يجيـد القـراءة والكتابـة، وأنـه كـان يريـد كتابـة وصـيته للمسـلمين لـولا اخـتلافهم بحضـرته، وهـى تقطـع بـاليقين معنـى قـول الرسـول فـي

حديث جبريل له اقرأ ورد الرسول عليه بقوله ما أنا بقارئ بما يعني ماذا أقرأ أو بما يعني لا أستطيع من فرط الخوف ،ولكن لا تعني أبدا لا أعرف القراءة كما فسرها البعض وليكن ذلك الفكر هو منهاجنا حتى لا يطعن أحد في السنّة النبوية أنها تأتى بالشيء ونقيضه في آن واحد ونكون نحن سبب هذا الأمر بتأويلاتنا العرجاء، هذا فضلا عن أن الحديث ذكر من عدة طرق فمن بين ألفاظه (ما أقرأ) وهذه أيضا قد فسرها البعض بأنها (ما) الاستفهامية وفسرها آخرون بأنها (ما) النافية ولكن إذا ما كان لأهل الفقه علم في قواعد الإثبات لعلموا أن القرائن المتساندة هي خير دليل على ما تساندت عليه وأنها في موضوعنا هذا تتساند في صالح علمه (ص) بالقراءة والكتابة هذا فضلا عن وجود دلائل على علمه بهما (ص).

رابعا :. من العقل

إننا لا نقبل من قائل أن يستنبط من أن رسول الله صلي الله عليه وسلم كان لديه كتّاب للوحي ويستند علي ذلك في الخروج باستنتاج أنه كان لا يعلم القراءة، ذلك أن رسول الله كان له كتّاب وكان له حرّاس وكان له خدم، وكلما علا شأن المرء

كـان لـه كتّابـا وحرّاسـا وغيـر ذلـك دون أن يفـتّ ذلـك فـي شـأن علمـه بـالقراءة والكتابـة أو فـي شـأن قدرتـه علـى الـدفاع عـن نفسـه .. الـخ ،لكـن حـب هـذه الأمـة للأسـاطير وعزوفهـا عـن البحـث والفكـر مـع قلّة القراءة والكتابة كل ذلك أفرز ذلك المعتقد وغيره.

كمـا وأن جهـل رسـول الله بـالقراءة والكتابـة مـع احتياجـه لكتّـاب للـوحي ومـع عـدم إلمامـه بـالقراءة والكتابـة سـيجعل هنـاك حـائلا يحـول عـن معرفتـه صـحة مـا تـتم كتابتـه ومـدى دقتـه فيحـرم مـن مهمّـة التحقـق والمراجعـة، وفضـلا عـن ذلـك فـإن القـرءان كـان المهمـة الرئيسـية للرسـول وحيـا وبلاغـا وقـراءة وكتابـة وتـلاوة وجمعـا ، فـلا يصـوّر لنـا أحـد الـزاعمين بالجهـل أن الرسـول تـرك المهمـة لأبـى بكـر أو عثمـان رضـي الله عنهمـا لـيكملا أمـر جمـع القـرءان بعـد سـنوات عـن فكـره عنّـت لأحـدهما فـإن فـي ذلـك تكـذيب لقولـه تعـالى (............الْيَـوْمَ أَكْمَلْـتُ لَكُـمْ دِيـنَكُمْ وَأَتْمَمْـتُ عَلَـيْكُمْ نِعْمَتِـي وَرَضِـيتُ لَكُـمُ الْإِسْـلامَ دِينـاً فَمَـنِ اضْـطُرَّ فِـي مَخْمَصَـةٍ غَيْـرَ مُتَجَـانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (المائدة:٣) .

كمـا وأن كتّـاب الـوحي مـا كـان لهـم أن يكتبـوا(ألم) ولا(كهـيعص) ولا(حـم) متشـابكة الحـروف إلا بتوجيـه نبـوي عـن صـورة الكتابـة، إذ أنـه لـو تـرك الأمـر إلـيهم لكتبوهـا مقطّعـه كمـا سـمعوها منـه يقولهـا مقطّعـه، فـالقرءان تـم تنزيلـه وجمعـه وتدوينـه

فـي عهـد رسـول الله وتحـت إشـرافه وعلـى بصـيرته وبصـره حيـث يقـول تعـالى (إن علينـا جمعـه وقرءانـه)١٧القيامـة؛ فلـم يقـل إن علينـا جمعـه فـي عهـد مـا بعـد الرسـول أو فـي عهـد عثمـان.......الخ مـن تلك التّرهات.

نضيف إلى الدلائل العقلية ما سبق وذكرناه من استحالة توجه الله بالتحدي لأميين، بمعنى أنهم لا يعلمون القراءة والكتابة، واستحالة أن يعلّم الله كل الأنبياء إلا محمدا، وعدم معقولية أن ينزل جبريل لأحد ليأمره (اقرأ) ثم يكتشف أنه لا يعرف القراءة والكتابة ،وعدم استساغة أن يقول أساطين أهل مكة الذين تربى بينهم النبي أن هناك من يملى عليه هذا القرءان ويقوم هو بكتابته في الوقت الذي يعلمون أنه يجهل الكتابة، مع استحالة أن يدعو نبيا ربه (رب زدني علما) ولا يستجيب له ، مع عدم منطقية وسوء أدب وجهل من قال بأن الله علّم رسوله ما لم يكن يعلم إلا علم القراءة والكتابة، وسوء أدب من يقول بأن رسول الله يأمر مشركى مكة من الأسرى أن يعلّموا من لا يعلم القراءة والكتابة ثم هو يترك نفسه نهبا للجهل بهما......وغيرها كثير مما ذكرناه.

وبعـد كـل هـذه الـدلائل القرءانيـة والعقليـة ودلائـل السـنّة والسيرة الصـحيحة سـتجد فريقـا ممـن يتـدينون بالوراثـة ممـن يحبـون روايـات ورثوهـا بـلا عقـل يقولون:ـ ومـا الـدّاعي لفـتح هـذا الموضـوع فـي هـذا الوقـت بالـذات ؟؟؟- نـرد علـيهم ولمـاذا لـم تفتحـوه أنـتم فـي

الوقت الماضي وفي خلال عمركم المديد وما أدراك بأنه سيحين الحين الذي يرضي هؤلاء في المستقبل ليفتحوا فيه أي موضوع ؟، إن هؤلاء هم عبيد الجمود عند حد اجتهاد الآخرين بلا عقل وبلا هدى أو كتاب منير، وهل تبرئة الرسول من تهمة الجهل لا تستحق منا بذل الجهد وإعمال العقل من أجل الوصول إلى حقيقة الهدف القرءانى أولا ثم الحقيقة التى يقرّها العقل السويّ ثانيا؟؟؟؟.

وسيقول آخرون وما الغرض من فتح هذا الموضوع ؟؟؟ فهؤلاء نرد عليهم بقول الله تعالي (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقرءان أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (محمد:٢٤).

وكيف بالمسلم يتجهّم عند كل فكر طالما لم يوافق ما ورثه من فكر ، إن هذا المنهج مذموم بما ورد بكتاب الله من قوله (وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) (الأنعام:١١٦) .

وقوله (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ) (البقرة:١٧٠) ....وغيرهما كثير فلا يجب على المسلم أبدا أن يكون على هذا المنوال المذموم من تقليد الآباء دون علم أو تدبر.

وفضلا عما ذكرنا بخصوص تدبّر القرءان فإن شباب هذه الأيام لهم عقول تصل إلى مناطق أكثر عمقا مما وصل إليه أسلافهم، وتعرض عليهم عبر شبكة المعلومات الدولية(الإنترنت) مسائل قد تفتنهم ،وإن موضوع الزعم المتوارث بجهل الرسول بالقراءة في الوقت الذي يأمره الله في رسالة أنزل عليه في أولها اقرأ فضلا عما أوردناه من تناقضات هو أمر يثير حفيظة الكثيرين ويعرّض شبابنا إلى فتن لا داعي لها.

كذلك قد يقول أنصار جهل رسول الله بالقراءة والكتابة أن الأمّة تواترت على هذا الأمر (جهل الرسول) فهؤلاء لابد وأن يعلموا أن الأمّة المسيحية أكثر عددا وهم أصحاب عقول وعلم ومع هذا فقد ساقهم قساوستهم إلى رأيين كلاهما خطأ وهما(أن عيسى عليه السلام هو الله . والثاني أنه ابن الله) وما ذاكم إلا لتعطل وظيفة العقل عندهم.

الخلاصة:. أن الرسول الأعظم كان يعلم القراءة والكتابة قبل البعثة، أمّا من أراد أن ينكر الأمر فهو وشأنه ولكن ننصحه حتى لا يدخل في منظومة تقييد مطلق القرءان بلا سند ،وتعطيل الحقائق القرءانية لذمّة رأى دعاة ما تدبّروا حقّ التّدبر، وإنه توحيدا لرأى الأمّة على أقل تقدير في الصواب أنه عليه السلام.......وعلى أقل تقدير ومع التحفّظ....... قرأ وكتب بمجرّد أن أمره الله(اقرأ) فقرأ بحول الله وقوته وكتب بحول الله

وقوته منذ ذلك الحين لأنه علّمه ما لم يكن يعلم (إذا كان لم يكن يعلم القراءة و الكتابة) كما يزعم الزّاعمون.

وإن المعتقدين في جهل رسول الله بالأبجدية هم في حقيقتهم معطّلين للحقيقة القرءانية وليس الأمر مجرد اختلاف في تأويل نص قرءاني إذ لا يوجد معنى لقوله تعالى (لا يكلّف الله نفسا إلا وسعها) في ذات الوقت الذي يعتقدون فيه بأن الله أمره بالقراءة وهو لا يعلمها إلا معنى واحد هو التكذيب بتلك الآية.كما أنه لا يوجد معنى للإيمان بقوله تعالى (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) في ذات الوقت الذي يصر فيه أصحاب منهج الجهل بالأبجدية أنه لم يعرف القراءة والكتابة لأن الأمر على هذا المنوال يكون فيه تعطيل للآية وحصرها عن رسول الله دون باقي الخلائق.

كما وأنهم مضيّقين للموسع إذ يعتقدون بأن الله علّمه كل العلوم إلا القراءة والكتابة وتركه على جهله الأبجدي(على فرض أنه كان لا يعلمها) بينما الله يقول (وعلّمك ما لم تكن تعلم) أي علّمه كل ما لم يكن يعلم على إطلاقه.

وإنّ الرسول إن كان أمّيا وإن كانت الأمّة أميّه قبل البعثة فلا مجال لما يتشدّق به البعض باستمرار بكلمة أمي لأنه يستحيل أن يستمر النبي والأمّة على الأمية حتىّ بعد نزول الوحي.

منــع تــرادف الكلمــات المتشــابهة غيــر المتماثلــة بالقرءان

ومن بين عناصر إثبات علم النبي بالقراءة والكتابة، هو اختلاف شكل كتابـة القرءان عن شكل الكتابـة العربيـة وقواعدها، فمـن أيـن أتـى كتبـة الـوحي بقواعد كتابـة القرءان، إنـها لا شـك البيـان الحرفـي ومراقبـة رسول الله لمهمة كتبة الوحي، فقد كان ذلك بتوجيه منـه صلـى الله عليـه وسلم، بما يعني علمه بالقراءة والكتابة.

ومن بين مصيبة الترادف التـي احترفها فقهاؤنـا نقـلا عن الفقه القـديم، مـا أسميه أنـا تـرادف الكلمـات المتشـابهة غيـر المتماثلـة، مثـل كلمة عظام والعظام وعظامه، فقد وردت كلمة العظام وكلمة عظامه بألف المد بين حرفي الظاء والميم، فكـان رسمها بـالقرءان هكذا (ﮔ)، فكانـت تـرد بهذا الرسم حين أعـاد الله تلك العظـام سيرتها الأولـى حين البعث، وكـان ذلـك بـآيتي سـورة البقـرة والقيامـة فقـط، أمـا ورود ذات الكلمـة فـي باقي المصحف فكان بالرسم هكذا (ى ـ ﮕ)، فكانـت بغير حرف ألـف المد بين حرفي الظاء والميم، وكانت ترد حين يكون الأمـر فـي وصـف أو ذكر العظام بدون إعادة إحيائـها .

وفي ذلك دلالة على وجود رقابة نبوية على كتبة الوحي إذ من أين لهم أن يعرفوا مراد الله في شكل الكتابة إلا بتوجيه النبي لهم، وكيف يوجههم النبي دون أن يكون فاهما لشكل الحروف ومعانيها.

وكذلك كلمة الضعفاء وردت بهذا الشكل (ذ)، ووردت بهذا الشكل (ڤ) ، وقد ورد كل شكل منها مرتين، فكانت تمثل في الشكل الأول ضعفاء الدنيا أما الشكل الثاني فكانت تمثل ضعفاء الآخرة وما عليك إلا أن تتدبر لتعلم بأن النبي كان يوجه كتبة الوحي لشكل الكتابة، وأن لكل حرف بالقرءان معنى مستقل أراده الله عز وجل.

إن القرءان الكريم لا عثمانية لرسمه، فقد كتبه كَتَبَة الوحي قبل خلافة عثمان ـ رضي الله عنه ـ بسنوات عديدة، وما كان لعثمان أو لغيره أن يكون له رسم مخصوص، وإلا كان لكل شخص شكل كتابة يختلف باختلاف النَّاس بعضهم عن بعض.

وأنتهي إلى أن كتابة القرءان وشكل حروفه كانت وفق وحي السماء، وكان النبي يراقب أعمال كَتَبَة الوحي؛ حتى يخرج القرءان وفق مراد الله شكلا وموضوعا، وهو الأمر الذي يمكن تفنيده فيما يلي:.

١ـ أكان عثمان يعني أن يكتب كلمة {كتاب} بحرف {ألف المد} بالآية رقم ٢٧ من سورة الكهف، والآية٣٨ من سورة الرعد، والآية رقم ١ من سورة النمل، بينما لا يكتب حرف ألف المد في باقي المصحف؟،

أَوَكان ذلك مزاجه وهواه؟، أم وقع الأمر سهوًا منه، أم كان يهذي؟، وتدبر ـ رحمك الله ـ الآيات التي سأوردها عن تلك الكلمة بالرسم الذي يزعمونه عثمانيًا فيما يلي:

٢ــ قوله تعالى في سورة الكهف: { }. بينما في ذات السورة بالآية الأولى يكتب كلمة { كتاب} بدون ذلك الحرف هكذا { } . ثم تجده في الآية رقم ٣٨ من سورة الرعد يكتبها بحرف {ألف المد} هكذا: { } ، بينما بالآية رقم ٢ من سورة البقرة كُتبت كلمة كتاب بدون حرف ألف المد هكذا: { }.

ـ وترى اختلافا في شكل كتابة ذات الكلمة {كتاب}، بين الآية الأولى من سورة يونس، حيث كتبت كلمة كتاب بدون حرف الألف، بينما

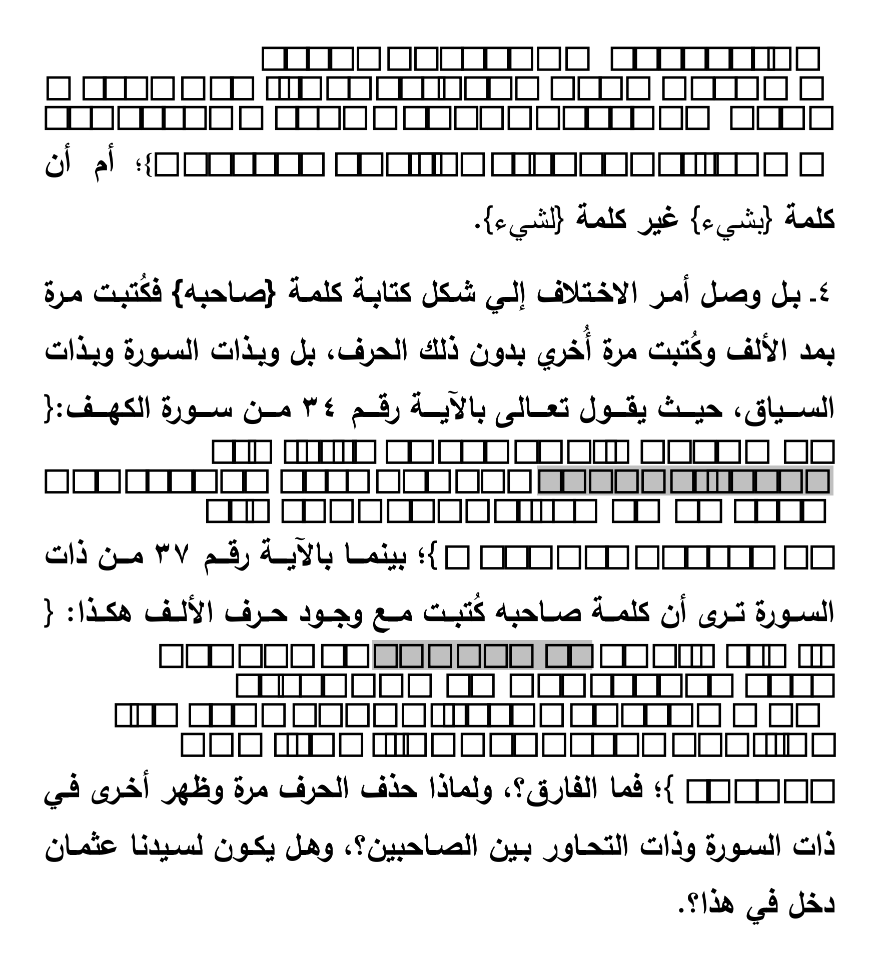
بالآية الأولى من سورة النمل كُتبت مع وجود حرف الألف، فهي هكذا بسورة يونس:{ □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□ □ □□□□□□□□□□□ }؛ وهكذا بسورة النمل: { □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ □ □□□□□□□□ □□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□□ }

أفكان الأمر مقصودا لذاته، أم للهوى، أم للخطأ، أم لعثمانية الأمر؟؟، لا شك أن هناك علما لم نصل إليه بعد.

ولا يقولن قائل من أهل التبرير والتبسيط بلا قواعد علمية، إن حرف الألف حين يُحذف يوضع مكانه علامة {المد الخنجرية} التي تُنطق كحرف الألف، لأن مقالي يبحث في شكل الكتابة، ومدى نسبتها، ولمن تُنسب للرحمن أم لعثمان؟ وليس نطقها.

٣. وهل كان عثمان رضي الله عنه يعنى أن يكتب كلمة { لشيء} هكذا بينما يكتبها بالآية رقم ٢٣ من سورة الكهف هكذا {لشايء} وإليك البيان بالرسم المزعوم أنه عثماني:

يقول تعالى:{ □□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ □ □□□□ □}؛ بينما يكتبها في باقي المصحف الشريف بدون حرف الألف مثل قوله تعالى في الآية ١٤ من سورة الرعد: {□□□□□ □□□□□□□□ □ □□□ □□□ □□□□□ □ □□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□ □□□□□□□ □□□□□ □□□□□□□□□□□□□



}؛ أم أن كلمة {بشيء} غير كلمة {لشيء}.

٤. بل وصل أمر الاختلاف إلي شكل كتابة كلمة {صاحبه} فكُتبت مرة بمد الألف وكُتبت مرة أُخري بدون ذلك الحرف، بل وبذات السورة وبذات السياق، حيث يقول تعالى بالآية رقم ٣٤ من سورة الكهف:{

}؛ بينما بالآية رقم ٣٧ من ذات السورة ترى أن كلمة صاحبه كُتبت مع وجود حرف الألف هكذا: {

}؛ فما الفارق؟، ولماذا حذف الحرف مرة وظهر أخرى في ذات السورة وذات التحاور بين الصاحبين؟، وهل يكون لسيدنا عثمان دخل في هذا؟.

٥. وكلمة حرام تُكتب دوما بحرف الألف إلا في الآية رقم ٩٥ من سورة الأنبياء، بينما كلمة حلال تُكتب بدون حرف الألف وتأكيد ذلك فيما يلي:

يقـــــول تعـــــالى: { [illegible] } × ١١٦ النحل؛ **لاحظ الفرق بين كتابة كلمة حلال وكلمة حرام بذات الآية، ولاحظ أن كلمة حرام بحرف الألف، بينما بسورة الأنبياء ذات الكلمة بدون حرف الألف هكذا: {** [illegible] **}، فهل يمكن أن ننسب ذلك الاختلاف لسيدنا عثمان لنخفي عدم معرفتنا بسبب التباين؟.**

٦. وكلمة {آتينا} تراها بحرف الألف في نهايتها بالآيتين ٥٣ & ٢٥٣ من سورة البقرة، بينما تراها بدون حرف الألف في نهايتها بالآية رقم ٥٤ من سورة النساء، كذا بالآية ٤٦ من سورة المائدة، وعموما يمكن استعراض الأمر هكذا:

{ [illegible] } ٥٣ البقرة، **وبالآية ٢٥٣**

يقـــول تعـــالى: { [illegible]

3 .... }.

بينما بالآية ٥٤ سورة النساء تجدها بدون ألف المد هكذا

:{

}، وتجدها بسورة المائدة آية ٤٦

مكتوبة هكـــــــــذا: {

}؛ أم تُرى لأن هناك فرقا بين كلمة آتينا وبين آتاهم أو أتيناهم في المد أو قواعد اللغة؟؟، وهل يؤثر ذلك في المعنى؟؟، هذا ما سوف نعلمه.

تأويل اجتهادي لأسباب الاختلاف

ولقد احتار الفقهاء والنَّاس في الأمر، لكن كعادتنا في إيجاد التبرير لكل ما هو معقول أو غير معقول، فقلنا إنه الرسم العثماني،

بينما عثمان يتبرأ أن يكون رسم رسمًا لم يرسمه رسول الله، لكن على أية حال إليك تعليقنا وتصورنا على كل ما تم ذكره:

١. إن وجود كلمة { □ □□□□□□□□□ } ناقصة بدون حرف المد بالألف إنما تعني أنه القرءان الكريم، فحين يقول تعالى:{□□□□□□□ □ □□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□ □ □□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□ } إنما يعني القرءان الكريم، لكن حين تكون الكلمة كاملة فهي تعني الكمال بما يعني علم الله، وذلك من قوله تعالى: {□□ □ □□□□□□ □□□□□□□ □□ □□□□□□□□ □□ □□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□ □□□ □□ □□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ □□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ □ }؛ يعني اتل ما أوحي إليك من القرءان الذي هو من علم الله الكامل الذي ما بعده علم، ويمكن أن ينصرف الأمر إلى اللوح المحفوظ الذي يحوي القرءان ضمن ما يحوي من علوم.

٢ــ وكلمة { □ □□□□□□ } وكلمة {□□□□ □□□□ □ □□□} مع الفوارق السابق ذكرها بينهما، لأن كلمة { □ □□□□□ } تعنى امتناع العبد عن الحرام، فشهوته ناقصة، وإرادته تبعا لمراد الله، لذلك تكون الكلمة تحوي نقصانا، أما كلمة { □□□□ □□□}فتعني أن العبد لم يمتنع عن شيء واستمتع

بما حرم الله، فكانت إرادته طليقة، لذلك فكلمة حرام كاملة، أو لعلها تحمل ذات الحرف { الألف }الذي تحمله كلمة { نار}.

لكن في الحالة الوحيدة التي تكون فيها كلمة حرام ناقصة، فهي بالآية ٩٥ من سورة الأنبياء، وذلك أن الله هو الذي يحدد للقوم الحرام أي ينتقص من حرياتهم ليختبر إيمانهم فيقول تعالى:

{□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□
□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□
□□□□□□□□□□□□ }.

وهناك المئات من التباينات في شكل كتابة القرءان، ولكل منها تأويل لا يعلم حقيقته إلا الله، أما تأويلي المذكور فهو مجرد اجتهاد مني وبعض جُلَسَائي . جزاهم الله خيرا . أسأل الله أن يتقبله، كما أنه وبعد كتابة تلك السطور وجدت مُؤَلَّفًا اسمه {إعجاز رسم القرءان} لأحد المجتهدين اسمه الأستاذ/ محمد شملول، يحوي دراسة كاملة وشاملة عن الأمر، وقدم له فضيلة مفتي جمهورية مصر الشيخ/علي جمعة، لكن المهم عندي أن تلك الاختلافات لم تكن وليدة بنات أفكار سيدنا عثمان بن عفان . رضي الله عنه . إنما كانت توقيفا حصريا من الرحمن، ودوَّنها كَتَبَة الوحي هكذا كما أمرهم رسول الله، وفق ما أمره الله، ولكل كلمة شكل له معنى، ولشكلها مغزى ونسأل الله الهداية.

الخلاصة

نخلص مما سبق أنه يستحيل تصوُّر أن كَتَبَة الوحي كانوا يكتبون القرءان وفق هواهم بكل تلك الاختلافات، لكن ما يمكن استخلاصه أن الرقابة النبوية على كَتَبَة الوحي هي التي راقبت كتابة القرءان كما أراد الله لحروفه وكلماته أن تكون، بما يعني أن رسول الله كان يعلم شكل الحروف، وبما يعني أيضا أنه كان يجيد القراءة والكتابة، ولا يُغَيِّر من الأمر شيئا أن القرءان كان ينزل على قلب رسول الله فتراه عيناه، وكان لا ينسى ما يتنزل عليه، وقد علَّمه ربه من علوم الأولين والآخرين فهل يحرمه من علم القراءة والكتابة؟، إنه بمجرد أن أمره {اقرأ} فقد قرأ بحول الله، لأنه سبحانه إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون.

إن الذين قالوا بالأُمية خشية أن يتهم أعداء الإسلام النبي بأنه الذي كتب القرءان، إنما كان ذلك يجوز في عصور خلت لم يكن الله قد جاد على الناس بعلوم شتى تُثْبت أن القرءان من لدن الخالق، كما لم يكشف لهم الله من ثبوت الرؤية العلميه لكتابه في الكون كما ثبتت لنا، لذلك قد يكون لهم عذر فيما انتهوا إليه، أما اليوم فلا يجوز لنا أن نردد ذلك لأنه يعبر عن سخف وعدم ارتباط المسلم بالدنيا من حوله، لأننا لابد وأن نؤمن بأن الله يبين آياته المسطورة من خلال الكون المنشور.

الأمـر الثـاني أن تلـك الاختلافـات فـي الشـكل الحـروف، لابـد أن يكـون لهـا مـدلولاتها، لأنهـا منظومـة ومنتظمـة، لـذلك يجـب بـذل مزيـد مـن الجهـد بهـذا الصـدد للوصـول إلـى المرامـي القرءانيـة مـن وجـود اخـتلاف شـكل الكتابـة للكلمـة الواحـدة، وهـو أمـر نضـعه أمانـة بأيـدي مجامعنـا الفقهيـة، بـدلا مـن التَّمَسُـح بمقولـة {رسـم عثمـاني} والركون بعدها، لأنـه تأكد لدينا أنـه {رسم رحماني} له دلالاته.

الأمر الثالث أنه يجب علينا جميعا تدبر كتاب الله، ولا نقف عند جهد الأقدمين، ولابد أن نحدد مدلولات الألفاظ وفق عقولنا نحن، إلا ما ورد عنه تأويل خاص من النبي ﷺ، وليكن رائدنا في ذلك علماء عصرنا قبل أن ننقاد لعلماء السلف بلا ضابط.